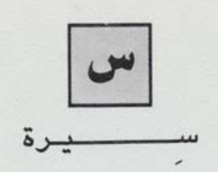

س
سيرة
أمل دنقل
الجنوبي
عبلة الرويني
@ketab_n
Follow Me
ketab.me
Best Books
25.2.2013
دار سعاد الصباح



سيرة

أمل دنقل

الجنوبي

عبلة الرويني



دار سعاد الصباح

الجنـــوبي


Twitter: @ketab_n

الطبعـــة الأولـــــى ١٩٩٢

دار سعـــاد الصبـــاح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفـاة ١٣١٣٣ ـ الكويــت
ص. ب : ١٣ المقطم ـ القاهرة

رقم الإيداع : ١٧٧٩/١٩٩٢
I.S.B.N. 977 - 00 - 2571 - 2

الاشراف الفنى : حلمى التونى


Twitter: @ketab_n

* لن أطلب منكم الوقوف حداداً

فنحن إذا وقفنا حـداداً ، سيكون الحداد على عصر طويل قـادم ، حداداً على العصر الذي سيمضي حتـى يشب فيه رجال لهم شيـم الرجال الذيـن كان يراهـم أمل دنقل.. وكـرم الرجال الذيـن كان يحلم بهم أمـل دنقل ، وشرف ونبل و إنسـانية وشجاعـة ورقة الرجـال الذيـن استشهد أمل دنقـل وهو يراهم ، هم البشر ويحلم برؤيتهم *

«يوسف أدريس»


Twitter: @ketab_n

«بديلاً عن الانتحار»

تأخذ محاولة العثور على مدخل حقيقي لشخصية أمل شكل الصعوبة حين نصطدم فيه بعالم متناقض تماماً ، يعكس ثنائية حادة كل من طرفيها يدمر الآخر ، ويشتت الكثير من أشكالها .. إنه الشيء ونقيضه فى لحظة نفسية واحدة يصعب الإمساك بها والعثور عليه فيها :

فوضوي يحكمه المنطق ، بسيط فى تركيبية شديدة ، صريح وخفي فى آن واحد ، إنفعالي متطرف فى جرأة ووضوح ، وكتوم لا تدرك ما فى داخله أبداً .

يملأ الأماكن ضجيجاً وصخباً وسخرية وضحكاً ومزاحاً .. صامت إلى حد الشرود يفكر مرتين وثلاثاً فى ردود أفعاله وأفعال الآخرين ، حزين حزناً لا ينتهي .

استعراضي يتيه بنفسه فى كبرياء لافت للأنظار .. بسيط بساطة طبيعية يخجل معها إذا أطريته وأطريت شعره ، وربما يحتد على مديحك خوفاً من إكتشاف منطقة الخجل فيه .

صخري ، شديد الصلابة ، لا يخشى شيئاً ولا يعرف الخوف أبداً .. لكن ، من السهل إيلام قلبه .

يكره لون الخمر فى القنينة ، لكنه يدمنها إستشفاء .

قلق ، لا يحمل يقيناً .. تاريخ معتقداته حافل بالعصيان ، لكنه غير ملحد .

صعيدي محافظ ، عنيد لا يتزحزح عما فى رأسه ، وقضيته دائماً هي الحرية، ومشواره الدائم يبدأ بالخروج .

عاشق للحياة ، مقاوم عنيد ، يحلم بالمستقبل والغد الأجمل مع قدر كبير من

العدمية يزدري فيها كل شيء ، ويدمر كل شيء ، ويؤمن بحتمية موته .

... ...

يحتاج الأمر إلى قدر كبير من الحب ، وقدر كبير من الفهم والاستيعاب لطبيعة أمل المركبة العسيرة ، حتي لا يجهدنا عناء البحث عنه داخل هذا المناخ الفوضوي الغريب ، فتوقف عند أسطحه المدببة ، وصخوره الجرانيتية منزعجين.

والمحاولة لاشك تأخذ شكل الصعوبة للوصول إلى طبيعة هذا التوازن المحكم الذي أحدثه أمل داخل هذا العالم المتفجر بتناقضاته الحادة :

نقتل أو نقتل
هذا الخيار الصعبْ
وشلّنا بالرعبْ
تردّدُ العزلْ

ولعله ليس الخيار الصعب كما ظنه أمل ، بل هو التوازن الأصعب الذي وحده الشعر ، فكان صلب توازنه الحقيقي ، وكان بديل الانتحار فى هذا العالم المتواتر المرعب ... فبدون الشعر تشق النفس نفسين ، والجسد جسدين ، والروح روحين ، ويتعجل مصيره الحتمي نحو الموت .

لكن الشعر ، هذا الخلق الذي يبلغ حد التناسق ، يحول هذا السعي الحتمي نحو الموت إلى مقاومة وتحد ، ومن هنا يكتسب مفهوم الشعر لدى أمل ـ كبديل للإنتحار ـ معني الثورة .

وحدة الشعر ، هو التماسك العقلي والنفسي القوي ، والإتساق الوحيد ، والبناء الموضوعي الشديد الإحكام الذي حقق لأمل إعادة خلق العالم المرفوض حوله من جديد لحسابه الخاص .

ولقد أدرك أمل دائماً أن قوته الحقيقية هي شعره ، ولهذا لم يتخيل فى أي

لحظة من لحظات تعامله وحياته ، عن سـلاحه الوحيد كتابة الشعر . إن المدخل الحقيقي إلى شخصية أمل يظل دائماً هو موهبته .. فهي التوازن ، والسلاح القوي المشهر .. انها التفرد والتمايز .. الزهو والثقة والكبرياء ، القوة والوضوح.. الصدق وشرف القلب الدائم .. والثورة .

... ...

كل شيء يبدو مقلوباً على رأسه ، ولهذا تظل محاولة الدخول إلى عالم أمل هي محاولة لمشاركته عذابه فى منع واختلال الصورة ، وفي محاولة إعادتها إلى وضعها الطبيعي أو وضعها الجميل بالشعر .

* * *

كل شيء متناثر كأنه الفوضى .

كلمات طائشة حادة ، غضب مفاجئ ، أيام غير معلومة ، صعلوك لا يرى الشمس إلا نادراً حين يحول الليل إلى نهار ، والنهار يقضيه نوماً طويلاً .

يقرأ فى أي مكان شاء فى استغراق تام وسط مجموعة فى سهرة ، أو وحده ، وسط بحيرة من الأوراق ، والكتب ، والجرائد ، والأقلام فوق سريره . يكتب في كل مكان .. فى المقهى ، فى الشارع ، فوق مقعد ، فى منزل أو داخل مستشفي ، ينفق كل أمواله فى ليلة واحدة ، ثم ينام جوعاً فى الليلة التالية .

لا يوجد له عنوان محدد :

مقهي ريش .. أتيليه القاهرة .. دار الأدباء

تلك كانت صناديق بريده ، وأماكن العثور عليه .

يقاسم أصدقاءه غرفاتهم ونصف السرير ، ونصف الرغيف ، ونصف اللفافة ، والكتب المستعارة ... ثم يمضي تاركاً ذكرياته ، وأوراقه ، وشعره وكتبه ، وملابسه .. فى غرف الأصدقاء بعدما حفر كل شيء فى عقله بدقة متناهية وذاكرة حديدية .

إن تلك الفوضي تدخل فى عالمه الداخلي ، لتصبح محكومة تماماً بمنطقية

صارمة ، بل وتضعنا وجهاً لوجه أمام منطقية خاصة بأمل وحده ، هي منطقية الفوضى .

* * *

لا يحب أمل منطقة الوسط ، ولا ينتمي للمناطق الرمادية ، يمقت الحلول الوسط ، ويحتقر الانفعالات الوسط ، ويتحدى الطبقات الوسطي .

إنه يتلف الألوان جميعها ليظل الأبيض والأسود وحدهما فى حياته .. يحب أو يكره ، يبارك أو يلعن .. هارب دائماً من كل مناطق الحياد التي تقتله .

يحب إلى درجة أنه ينسى شجارك معه ، ويعذبه توترك العصبي . (يغضب منه يحيي الطاهر عبد الله ، ويلعنه غاضباً ، فيترك له أمل المائدة ، ويرسل إليه صديقاً يهدئ من روعه فى تلك اللحظة التي يحتاج فيها يحيى إلى رفيق).

يحب إلى درجة أن يمسح دموعي فى لحظات الشجار العنيف ، وأنا أمزق ثيابه ، وأمزقه .

ويكره إلى درجة النسيان وإلغاء الشخص تماماً .. إلى درجة قسوة القلب وعدم المغفرة ..

فما الصلح إلا معاهدة بين ندين
في شرف القلب لا تنتقص

* * *

استعراضي يبحث عن لفت الأنظار إليه دائماً .. يهوى الملابس الغريبة والألوان الخاصة ، والقداحات الأنيقة اللافتة .. يقف أمام المرآة زمناً طويلاً عندما يرتدى ملابسه ، ثم يذهب إلى مواعيده متأخراً .

يخاصم أصدقاءه إذا دخل عليهم فلم يتهللوا واقفين جميعاً فى فرحة بلقائه ، يقتحم الآخرين إقتحاماً ، ويبادرهم بالسؤال المباغت فى أشد مناطق خصوصياتهم ، وكأن الحياء لم يمر ببابه ، لكنه يرفض منطق السؤال له

فلايسمح لأحد بـاقتحامه ، والقاء السؤال عليه ، ومحاولـة التفتيش فى داخله .. ثم ينتابه الصمـت والخجل إلى حد العبث بالأشياء حولـه ، والعبث بشعر رأسه وأبعاد الكلمات ، إذا أطريت شعره وأطريته .

إنفعالي حاد يتشاجر فى لحظات الغضب الأكبر بالأيدي والكراسي والسباب، يهوى المشاحنات الكلامية ، والمداعبـات الحادة فى جرأة مستفزة .. وهو فى ذات الوقـت عقلاني يحسـب دائماً ردود أفعاله تجاه الأشيـاء ، ويستدل بـالمنطق ، ويحيل هذا المزاج الشعوري المتطرف إلى بنـاء عقلاني متماسك متضافر ، دون خطوط رجعة .

بسط لي يوماً يديه :

«قال لي صديق مقـامرأن أصابعك الطويلة النحيلة أصـابع مقامر محترف ، لكني لا أحب المقامرة» .

لم يحب أمل المقامرة ، فالعقل دائم الصحوة ، مزهو بحسابات الغد المحكومة بدقة ، والتي لا تستطيع قبول هزيمة الغد على الاطلاق ، أو حتي الرهان عليها .

لاعب شطرنج ماهر يحرك جنوده بدقـة .. ولاعب طاولة عنيد ومشاكس ... كنا نتشاجـر فى اليوم الواحد مرات عـديدة .. يهزمني لكن الأمر يصبـح مأساة بانتصاري ...

أهتف فى وجهـه (انتصرنا .. انتصرنا) فيقلب رقعـة الشطرنج ويرمـي زهر الطاولة ، ويغضب بالفعل ، ويخاصم انتصاري .. ثم يطالبني بعد قليل باللعب معه .

* * *

شديد الصلابة كالجرانيت الصخري ، لا يهتز سريعاً بل يصبح من الصعب إدراك طبيعة الفرح أو الحزن مـن ملامح وجهه ومن نظرات عينيـه ، فهو قادر دائماً على كتمان إنفعالاته بل ، وأحياناً على إظهار عكسها .

لا يفصح عن مشاعره ولا تدخل قواميسه عبارات الإطراء وألفاظ الحب ، إن

إخفاء مشاعره ، وكتمانها ، سمة غالبة عليه ، وعلي الآخرين وحدهم إدراكها دون إفصاح منه .

كتب يوما عن صديقه المثال ـ عوني هيكل ـ هذه الكلمات ـ فخلته يكتب نفسه :

«دائماً الخوف من أن يكتشف الآخرون كم أنت رقيق ، فيدوسونك بسنابكهم!

إن الصمت النبيل الكامن يدافع عن نفسه بصوتين متنافرين ، فهو يلفت الأنظار إلى الخشونة المتعمدة ــ والتي يجب أن تبدو كأنها لا متعمدة ــ حتي يضلل الناس عن الرقة الحزينة التي لوحتها شمس الأيام .. ودارت عليها يد الفنان ، فلا ترتفعان إلا إذا آمن عليها من جنون الريح !

هل هو الإحساس بالغرق : هذا الذي يجعل اليدين اللا إنسانيتين ترتفعان وتحاولان أن تضربا صفحة الموج لكي تظل النفس البسيطة المرهفة طافية (وغارقة فى نفس الرقة!) على سطح الحياة».

...

أسماه الصديق الشاعر حسن توفيق (هرقل) وكان أمل مزهواً بالإسم :

آه لو أملك سيفا للصراع
آه لو أملك خمسين ذراع
لتسلمت ـ بإيماني الهرقلي ــ مفاتيح المدينة .

أسماه الصديق الدكتور جابر عصفور (سبارتاكوس) فهو السائر دائماً إلى إنتصاره فى الموت .

كانت تلك الجرانيتية الحادة تضيئه وضوحاً فى نفس اللحظة التي يخبئ كتمانه الكثير فى داخله ، ويحول كل الصلابة ، والحدة ، والتطرف إلى أقنعة يتوارى خلفها قلبه النبيل الذي أرهقته مرارة الأيام .

كان من السهل تفجير قلبه ، والإطاحة به ، ولو بإيماءة صغيرة .. ولهذا لم

يكن يستطيع أن يحب إلا من يصعب عليهم إحداث ذلك إذا أدركوا .. ولم يدرك إلا قليلون للغاية هذا القلب المرهف المحاصر عن عمد بالحراب الصلبة المدببة .

* * *

في صباه الباكر كان شديد التدين .. لا يترك فرضاً ، يلقي خطب الجمعة فى المساجد ، ويحمل عهداً وطريقاً على منهاج الشيخ إبراهيم الدسوقي .

ثم ترك النشاط الديني فى شبابه معجباً بالماركسية والوجودية .. لكن القلق الميتافيزيقي ظل يحمله فى داخله دائماً .. رافضاً يقينية الشرائع والأفكار باحثاً دوماً عن الحقيقة والإطمئنان الكامل ..

ومتي القلب فى الخفقان اطمأن

إنه السؤال الذي يكسر أقوى القلوب .. ولعل طرح التساؤل بهذه الكيفية يحفل بالعصيان ، والتحدي ، وليس بالإنكار .. فهو لا ينكر الله أساساً ولكنه يخاطبه ، ويناقشه ، ويبحث دائماً عن الإجابة لسؤال صعب لم يجده أبداً .

* * *

صعيدي حتى النخاع .. شديد الغيرة فى كبرياء .. شديد النقاء .. شديد العناد.. شديد الثأر ..

الدم .. أو يعود كليب حيًّا

ولعل الاختيار كان دائماً فى أعماقه محسوماً بالمستحيل (أن يعود كليب حياً) وبرغم ذلك كان هدفه الأكبر ومطلبه الدائم هو الحرية .. إنها سمة وصراعاً دائماً لتحقيقها ، إنها كينونته الحقيقية التي ظل يبحث عنها ، ويكسر كل شيء من أجلها ، وهي أيضاً الغد القادم ، والغاية ، والمنتهي ..

إن الحرية هي المستقبل

قالها يوماً ، كأنه لم يحققها بعد .

* * *

يتزايد التناقض ، والتناثر والتشتت ، والقلق الذي يحكم كل الأشياء حوله

وفي داخله ، ليكشف التناقض الأكبر (الحياة والموت) .

فهذا العاشق أبداً للحياة ، وكأنها الأبد ، يحمل فى كل لحظة الموت فى أعماقه ، مردداً دائماً (إنني ابن الموت) ومتنبئ به دائماً .

في العشرين من عمره ذكر أنه ، ولابـد ، منتحر فى الثلاثين .. وفي الثلاثين أكد أن حياته لا بد وأن تنتهي فى الأربعين .

في السـابعـة عرف فقد الأخـت (١٩٤٧) .. وفي سن العاشرة عـرف فقد الأب (١٩٥٠) ثم فقد الأهل (الغرباء) .. وفقد المدينة وفقد الوطن .

هذا الفقـد المتواصـل وضـعه دائماً فى مواجهـة الموت ، لكنه لم يفقـده لحظة عشقـه للحيـاة ، لأنه لم يعـرف لحظـة فقـدان ذاتـه وضياع نفسـه .. إن هـذا الاستمتاع بالحياة هو نتاج وعي بالموت كحقيقة ، وإدراك لحتميته .

ظل الموت دائماً هو الحقيقة ، وثمن الطريق .. وظلت حياته دائماً هي الصراع والمقاومة المستمرة حتي النهاية فمن رآه رأى دمه .

إنها الموهبة ..

وإنه الشعر .. المدخل ، والتجربة وإنتصارها .

«البحث عن المحارب الفرعوني»

كان مقهـي ريش هـو بدايـة الطريـق إلى أمل دنقـل .. إنه الملامـح والمكان والهوية الذي بدأت منه رحلة البحث عن شاعر ، لا أعرف ملامح وجهه .

الزمان أكتوبر ١٩٧٥ .

عندما فكرت ، في بداية عملي في جـريدة الأخبار ، خلال فترة التدريب الأولى ، وقبـل أن يتـم تعيينـي ، في كسر كل الإشـارات الحمـراء والخضراء والصفـراء وإجراء حوار مع الشاعر أمل دنقل .

قال لي أحد المحررين السياسيين في جريدة أخبار اليوم :

ـ ستجدين صعوبة في نشر اللقاء ، فأمل شاعر يساري ، لن تسمح الجريدة بنشر حوار معـه ، لكن ربما يمكنهـم نشره في طبعة أخبار اليـوم العربيـة فمن الممكن تصدير أمل دنقل عربياً ، لكنه غير مسموح بإستهلاكه داخل مصر !!

أصابتني كلماته بصاعقة فجـرت مساحات التحدي داخلي ، وأطلقت لأفكار مثالية أبعد من سياسة الجريدة عنـان الحركة ، فلماذا تأخذ الجريدة موقفاً من شاعر ؟ بل كيف تأخذ الجريدة موقفاً من عقل الصحفي ؟!

ـ سأجري الحوار !

ضحك ساخراً :

إذن حذار منه ، ستجدينـه سليط اللسان ، شديد القبح مثـل كل الشيوعيين تشمين رائحتهم عن بعد !!

* * *

رحت أبحث عن مقهي ريش في الزمان الـذي أعرفه (صباحاً) .. مررت أمام

مقاهي شارع طلعت حرب أسأل مقهى مقهى حتي وصلت إلى مقهى ريش .

لم يكن ريش يختلف كثيراً مـن حيث الشكل عن باقي مقاهـي القاهرة .. بل إن شكله الخارجي لم ينم عن كونه ملتقى الأدباء .. أو حتى عنواناً أنيقاً لشاعر.

أسأل الجرســـون :

ـ الشاعر أمل دنقل ؟

غــير موجـــود .

ترددت أكثر من مـرة على المقهى .. وفي كل مرة كان الزمـان صباحاً وفي كل مرة لا أجد أمل دنقل .

رفق بي أحد الجرسونات :

ـ الأستاذ أمل لا ياتي إلا فى المساء .

ولأني أسكن منطقة مصر الجديدة البعيدة ، فقد كان من الصعب على العودة مرة أخري مساء ، فتركت له رسالة صغيرة :

الأستاذ أمل دنقل

يبدو أن العثور عليـك مستحيل ، يسعدني الاتصال بي فى جـريدة الأخبار ، ويشرفني أكثر حضورك .

إكتفى الشاعر بإسعادي .. متصلاً صباحاً بالجريدة ومحدداً موعداً للقاء .. الثامنة مساء فى دار الأدباء بشارع القصر العيني .

فيما بعـد أدركت أن اتصـال أمل بي (تليفـونياً) ، وفي (جـريدة الأخبـار) ، (وصباحاً) يعتبر حدثاً فى حياته من الصعب تكراره ، ولعلها رقة سطور الرسالة التي تركتهـا ـ كما قـال لي ـ ولعـله القـدر الذي كان يرسـم صورة مستقبل قادم ، ويحتم اللقاء بهذا المحارب الفرعوني القديم .

في الثامنة تماماً كنت فى دار الأدباء ، المكان شديد الإزدحام بجمهور الأمسية الأدبية ، فاليوم كان (الأربعاء) موعد ندوة الدار الأسبوعية .

صارت الساعة الثامنة والنصف وأنا لا أعرف ملامح وجه أمل .. أسأل فيقال لي : لم يأت بعد .

بعد قليل همس شاب : الأستاذ أمل هو ذلك الجالس فى نهاية الصفوف .

اقتربت من الصف الأخير حيث جلس شخصان :

ـ الأستاذ أمل دنقل ؟

تفحصني أحدهما بهدوء ثم قال : سعادتي !

لم يستفزني الرد ، بقدر ما أعجبتني تلك المحاولة للغرور .. فابتسمت ، طلب لي فنجاناً من القهوة ، ورحت أحدثه عن سبب اللقاء ، ورغبتي فى إجراء حوار معه .. فوافق بسهولة عكس ما قيل لي .

قلت : كنت أظنك أكبر قليلاً !

ضحك بصوت مرتفع : يبدو أن عندك عقدة الكترا !

ولم أستفز أيضاً بل ابتسمت : إطمئن لن أحبك !

كان الانطباع الأول ، الذي كونته سريعاً ، أن هذا الشخص مختلف عن الآخرين ، يتكلم لغة أخرى ، يسلك سلوكاً آخر ، بل ويحس أحاسيس أخرى فمنذ اللحظة الأولى سقطت كل المسافات والإدعاءات والأقنعة ، وبدا لي وجه صديق أعرفه من زمن .

* * *

كان موعدنا الثاني مقهى ريش .

وقد كان ريش فى ذلك الوقت يسبب لي نوعاً من القلق ، كان مجرد دخولي إليه يشعل وجهي بالخجل والإرتباك ، كل الوجوه تتطلع نحوي بفضول غريب وربما ليس نحوي أنا شخصياً ، قدر ما هو تطلع نحو هذه الفتاة الخجول الباحثة عن أمل دنقل .

يبدو أن ارتباكي فضحني فسألني أمل :

ـ هل يضايقك الجلوس فى ريش ؟

رددت بسرعة ـ نعم .

قال : بالفعل لن تستطيعي إجراء الحوار وسط هذا الكم من البشر ، يمكننا الذهاب إلى مكان آخر أكثر هدوءاً ، وهو مكان مريح بالنسبة لي .

كان المكان المريح هو بار فندق كوزمو بوليتان !!

أرفض مقهى ريش الذي يربكني دخوله لأذهب إلى بار لإجراء حوار مع شاعر !!

كانت هذه هي المرة الأولى التي أدخل فيها باراً ، مثلما كان ريش أول مقهى أدخله ، وكان أمل هو أول مصدر صحفي يمنحني حواراً وهو يتناول زجاجة من البيرة !!

لا أذكر كيف بدأ السؤال ، لكن الإجابة الأولى ملأت ثلاث صفحات كاملة انتهت بتمزيقي لها .. حيث راح أمل يحكي عن طفولته الأولى ، وكيف عرف الشعر صغيراً ، وكيف شجعه أستاذ اللغة العربية بالمدرسة على الاستمرار فى كتابة الشعر .. وكان ذلك فيما أظن استطراداً طويلاً خارج إجابة السؤال .. فتوقف فجأة عن الكلام ، وطلب مني تمزيق الصفحا ت ثم اقتصد :

بطاقتك الشخصية :

الاسم : محمد أمل فهيم محارب دنقل

المهنة : شاعر ، قانون الصدفة يحكم علاقته بالشعر ليقف على أرض الهواه لا المحترفين ، لأن تعمد الشعر أو لبس العباءة الشعرية يحرم الشاعر من ميزة التلقائية والتجربة الاجتماعية .

السؤال المطروح : الحرية والحق والجمال والحرية تأخذ الأولوية لأن الحق مرتبط بتحقيقها ، والجمال نتيجة لتحققها .

الموقف: غير محايد ، فالشاعر المحايد شعره منه إليه ، لأن حياد الإنسان يقتل فى داخله الطموح ، والشاعر ليس آلة كاتبة تكتب ما تدق عليها أصابع القدر ، دون أن يكون لها إرادة فيما يحدث .

قـلت : هل تسمح لي بالتعليق على بطاقتك ؟

قـال : اشربي قهوتك .. وتكلمي !

قلت : كل معارض مرفوض .. فكيف تعيش كشاعر فى جو من الرفض ؟

قـال : أنا أعتبر أن الشعر يجب أن يكون فى موقف المعارضة ، حتي لو تحققت القيم التي يحلم بها الشاعر ، لأن الشعر هو حلم بمستقبل أجمل ، والواقع لا يكون جميلاً إلا فى عيون السذج !

كان ذلك جزءاً من أول حديث صحفي يجريه أمل مع جريدة الأخبار (١١/١٢/١٩٧٥) وكان أيضاً هو آخر حديث ، حيث ظل اسم أمل مدرجاً فى قوائم الشخصيات الممنوع ذكرها داخل الجريدة (رغم عملي بها) بل كثيراً ما قام المشرف العام على الصفحات الأدبية بجريدة الأخبار (عبد الفتاح البارودي) بشطب اسم أمل من داخل خبر ، أو حتى داخل استطلاع لآراء الكتاب والأدباء .. فإذا ذكر أحدهم اسم أمل ، أو اسم كتاب له ، قام المشرف العام بحذف هذه العبارات ، مردداً أن أسماء الشيوعيين لا حق لها فى النشر بالجريدة .. بل راح مرات عديدة يتهم أمل بكسر عمود الشعر ، والإساءة للغة بما يكتبه من شعر حديث !!

كما أن نشر هذا الحوار تطلب نوعاً من التجاوز الخاص من المشرف الأدبي حينئذ (رشدي صالح) حيث قام بكتابة تقديم أعلى الموضوع :

«حتي لا يظن شاعر أن الملحق الأدبي يقف له بالمرصاد فإنه يقدم هذا الحوار وللنقاد والشعراء الآخرين أن يقفوا على نفس المنصة وأن يقولوا آراءهم»

* * *



«وســــادة المتعـــب»

صرنا أصدقاء !

قال لى فى المرة الرابعة التى التقيت فيها معه ، وبدون أدنى مقدمات :

- يجب أن تعلمى أنك لن تكونى أكثر من صديقة !

حرك هذا التحذير الاستفزازى انفعالاتى ، فبدت عارية :

- أولا أنا لست صديقتك ، كما أننى لا أسمح لأحد بتحديد مشاعرى متى تتزايد أو تتناقص ، إننى وحدى صاحبة القرار فى علاقاتى بأصدقائى !

سقطت حسابات أمل - وهو الذى لا تسقط حساباته عادة - أمام رد فعلى المفاجئ ، فاضطر إلى التراجع ، أو إلى اظهار بعض من مشاعره ، عندما راح يفكر فى صوت مسموع .

« إننى رجل بدأت رحلة معاناتى ممن سن العاشرة ، وفى السابعة عشرة اغتربت عن كل ما يمنح الطمأنينة حتى الآن ، وأعتقد أن السهم الوحيد الذى يمكن أن يصيبنى فى مقتل سوف يجيء من امرأة ، ولذلك اتسمت علاقاتى دائمًا بالرفض ، كنت استغرق فى الحب ، لكننى فى صميمى كنت هاربًا من التمسك بها ... » .

تحدث يومها كثيراً عن المنزل ، وحياة الاستقرار التى أعيشها ، وعن رغباتى البرجوازية فى الشعور بالقلق ، وتحدث عن حياته التى لم تعرف الاستقرار أبداً ، تحدث عن أشياء عديدة بشكل غيرِ مترابط ، وأنا أشعر بفرحة غامرة فرحة ميلاد عاطفة جديدة .

من المؤكد أن أمل أحبنى ، وأن غضبى لعبارته يعنى أيضاً أننى أحمل له نفس المشاعر .

سألني وهو يمد يده مصافحاً :

ـ هل أراك غداً ؟

ـ بالتأكيد ، لقد أحببتك !

مد أنقل رقبته إلى أعلى ، حتى لا يمكننى رؤية وجهه الذى ارتسمت عليه شبه ابتسامة خجول (إنها المرة الوحيدة التى رأيته فيها مرتبكاً بالخجل) ومضى دون أن يعلق بكلمة واحدة !!

* * *

عيناك : لحظتا شروق

أرشف قهوتي الصباحية من بنهما المحروق

وأقرأ الطالع .

* * *

كان أمل مغرماً باهدائى كتب الشعر ، أغلى ما يمكنه اهداءه ، وأغلى ما يمكن أن يصلنى . أهدانى طبعة أنيقة للغاية بالأوفست ، مجلدة بالحرير من الموشوحات الأندلسية ، مؤكداً أنه هكذا يجب نشر الشعر ، أهدانى أيضاً الأعمال الكاملة لبدر شاكر السياب ، ولسعدى يوسف .

مرة واحدة ـ قبل الزواج ـ أهدانى خاتماً ذهبياً رقيقاً على صورة قلب ، سألته عن سبب الهدية ، ضحك وقال :

ـ بلا أسباب ، فلربما إذا انتظرت الأسباب ، لا أملك تقديم هدية لك ، اننى لا ألتقى (والضرورة) أبدا .

قام بكتابة نسخة خطية من ديوان (العهد الآتى) قبل صدوره ، بالعديد من الأقلام الملونة ، وبتشكيل فنى رفيع من خطوطه الجميلة ، وكتب على أولى صفحاته :

إلى صديقتى المشاكسة

والعزيزة علىّ جداً ، رغم أنى لست عزيزاً عليها !

بهرنى خطه الجميل ، مثلما سبق وبهر خطاطاً صديقاً أرسل إليه أمل نماذج خطية من قصائده مكتوبة فى تشكيل جمالى معين ، حتى يقوم الخطاط بنسخ الديوان كاملاً على شاكلتها ، أعاد الخطاط فى اليوم التالى القصائد إلى أمل مع رسالة اعتذار :

العـــزيز أمــل

شلت يدى ، (عوفيت) أعفنى .

أعذرنى معك لن أملك أن أضيف ، وسوف يضيق بى

سأعتئذ النساخ والموهوبون وأنا نفسى ، وأنت يخيب ـ أكثر ـ أملك فى .

على كل شىء كان يكتب أمل ، ويمارس حبه الشديد للتشكيل الخطى خاصة تشكيل أسمه ، على أيدى المقاعد ، فوق المناضد ، على أوراق الجرائد وعلب السجائر ، ولعله كان نوعاً من التوتر الزائد ، ولعله أيضاً كان نوعاً من الهروب المستمر من المحيطين به ، بالدخول إلى دوائر ذاته .

كان ديوان العهد الآتى وما زال برأيي هو أنضج أعمال أمل الشعرية فكراً ولغة ووجدانا وبناء ، انه يحدد موقف أمل ورؤيته لهذا العالم ويحدد أكثر مفهوم ومنطلقات الثورة لديه .

إن عملية الهدم للعهد القديم والجديد ، واعادة بناء عهد آت جديد ، شكّل فى هذا الديوان رؤية ثورة كلية ، كما أن قصيدة «سفر التكوين» بالتحديد هى كتاب العهد الآتى ، فهى ليست استحضاراً للرب أو ارتداء أقنعة الآلة القديمة ، ولكنها اكتشاف آلة جديد فى ثوب إنسانى . حيث يطل التحرك الشاسع من العالم الأبوى المقدس إلى عالم الإبن أو الإنسان التاريخى .. كنوع من التحول

المعرفى يعنى بزعزعة السلطة (المجرد ، المطلق ، الالهى) لصالح المشخص العينى (الإنسان ، تجربته ، حريته) .

ومن المؤكد ـ فى تصورى ـ أن هذه القصيدة الطويلة ، تعكس إعجاباً خفياً لدى أمل بأفكار نيتشه .

سألنى يوماً عن أحب قصائد الديوان ، أسمعته من الذاكرة قصيدة (من أوراق أبى نواس) .

صفق أمل : لم تخطئ فى التشكيل .

هتفت متعجبة : القصيدة رائعة ، صفق للشعر الجميل .

يخجل أمل إذا أطريت شعره ، إنها اللحظة الوحيدة التى يتعرى فيها قلب الشاعر لنراه طفلا وديعاً ورقيقاً إلى حد الشفافية .

قال : هل تعرفين القصيدة التى تعجبنى بالديوان ، إنها قصيدة لم يحتف بها أحد كباقى قصائد الديوان وهى (رسوم فى بهو عربي) .

«لقد حاولت كثيراً أن أعرف هذه الكيمياء التى تتحكم فى حسن استقبال القصيدة ، لكنى لم أدرك كنهها ، فكم من قصيدة أعجبت بها ، لكنها لم تلق إهتماماً ، مثل هذه القصيدة ، ومثل قصيدة **(أقوال اليمامة ومراثيها)** بينما هناك قصائد كثيرة لم أكن راضياً عنها تماماً ، فإذا بها تصبح أشهرقصائدى ، إننى دائب البحث عن حلول جديدة لمشاكل القصيدة الحديثة ، سواء من جهة اللغة أو الموسيقى ، أو البناء» .

. . .

كانت ، كذلك ، أول نسخة من ديوان العهد الآتى فور صدورها عن دار العودة فى بيروت ، ووصولها القاهرة (ديسمبر ١٩٧٥) هى لى أيضاً .

اشتريت نسخة من مكتبة مدبولى ، وأنا فى الطريق إلى لقاء أمل ، فوجئ بالديوان فى يدى ، فأرسل بهدوء جرسون ريش لشراء نسختين ، وأهدانى احداهما بعد أن قام بإصلاح الأخطاء المطبعية :

إلى الآنسة عبله الرويني

كـــان مـــن الممـــكن أن تـــكون صـــديقتي ، لـــكن عـــنادها حطـــم هـــذا الإحتمـــال

أرجو أن يكون هذا الكتاب عند حسن ظنها .

مع تقديرى لشاعريتها .

أدهشنـــى الإهداء ، فـــأبداً لم يتحطـــم شـىء ، لكنـــه أراد أن يعلن أن عنـــادى وحده حـــولنى مـــن صديقـــة إلى حبيبة مشـــاكسة ، تقلقـــه دائماً بردود أفعـــالها المفاجئة ، ولعله أراد أيضاً أن يمارس هوايته فى صناعة القلق لى ..

كتب لى يوماً رسالة طويلة :

«لو لم أكـــن أحبك كثيراً لما تحملت حســـاسيتك لحظة واحـــدة ، تقولين دائماً عنى ما أدهش كثيراً عند سماعه ، أحياناً أنـــا ماكر ، وأحياناً ذكى ، رغم اننى لا أحتاج إلى المكـــر أو الذكـــاء فى التعامـــل معك ، لأن الحب وســـادة فى غرفـــة مقفلة استريح فيها على سجيتى إننـــى أحب الاطمئنان الذى يملأ روحى عنـــدما أحس بأن الحوار بيننـــا ينبسط ويمتـــد ويتشعب كـــاللبلاب الأخضر على سقيفـــة من الهدوء . أكثر شىء أخافه هو تربيتك أو بالأحرى حياتك ففى العادة تبحث كل الفتيات اللواتى لهن مثل ظروفك من الأمـــان فى البيت والعمل عن قدرة من القلق والانشغـــال ــــ وأنا لا ألـــومـــك فى هـــذا ، بـــل وأصنعـــه لك متعمـــداً فى كثير مـــن الأحيان....»

«إننى أحتاج إلى كثير من الحب ، وكثير من الوفاء ، وكثير من التفانى إذا صح هذا التعبير ، ولكنك لا تعطينى أى شىء ، لدرجة أنك إذا أحسست أنى محتاج إلى كلمة حـــب رفضت أن تنطقيهـــا وإذا طلبت منك طلبـــاً صغيراً فـــأقـــرب شـىء إلى لسانك هو كلمة الرفض .. إن قلبـــك قفر جداً لا يستطيع أن يكون وسادة لمتعب أو رشفة لظمآن ...

إننى لا أبحث فيك عن الزهو الاجتماعى ، ولا عن المتعة السريعة العابرة ، ولكنى أريد علاقة أكون فيها كما لو كنت جالساً مع نفسى فى غرفة مغلقة» .

...

ظللنا فترة طويلة نبحث عن شكل مريح للحب بيننا ، ولم نجده فى أغلب الأحيان ، فما نكاد نلتقى إلا ونتشاجر ، وكأن ما بيننا غضب وعناد ساطع كنا أشبه بالمتنافرين دائماً ، نتكسر فى الطرقات الممدودة أبعاداً مختلفة ، فتجمعنا الاشلاء استمرار معاند ، فى لحظة نحشو العالم فى جيوبنا ، ونلملم كل الأوراق الخضراء وصوت العصافير ، والأقلام الملونة ، ثم بلحظة أخرى نمزق كل الأوراق ، ونذبح صوت العصافير ، ونكسر كل الأقلام الملونة والدفاتر .

اللا قانون كان هو القانون الوحيد الذى يحكم قلبينا ، فعندما نقرر لا نفعل شيئاً ، وعندما تتساوى الأشياء ، نحطم كل شىء ونتعامل بمنطق المفاجأة .

هكذا كنا نحب بأسلوب كتابة القصائد ، تكتبنا الحروف ، دون أن نحاول رشوتها أو التحايل لوجودها .

أغضب منه كثيراً ، ويفاجئنى إنفعالى ـــ أحمق ـ فأترك أمل فى منتصف الطريق ، لكنى سرعان ما أعود للبحث عنه فى أماكنه بالمساء ، حاملة معى كلمات بشكل الانفجار:

* **كلما قرأت أشعارك أحس أن مكانك الطبيعى فى صفوف الانقلابيين ولهذا فانت شاعر جيد وعاشق شرير .**

* **نواظب** بشكل جدى **على قهوة الغضب الصباحية (كل ما بيننا غضب وعناد ساطع) نشربها صامتين ، يزهر الفنجان من بنهما (حبنا ، والموت المبكر) .**

* **جلس اليوم أمامى فى (المترو) شاب جميل الملامح ، نظر إلى وابتسم ، أحسست أن ابتسامته تغتالك من الخلف فتجهمت مدافعة عنك ، أتمنى**

أن تكون جوارى فى (مترو) الغد لأبتسم لكل الملامح الجميلة ، وأغتالك وحدى .

* فكرت فيما حدث ، فوجدت أن كل شىء يمكن أن يلتقى فى هذا العالم إلا اثنان : أنا وأنت لا لأننا غير متناسبين ـ كما تقول ـ بل لأننا مختلفان ، مسافة كبيرة بين عقلية لا تخرج من غرف النوم السرية ، وعقلية أخرى لم تدخلها بعد .. أفكر كيف تكون إذا أغلقت الشقق المفروشة ؟

يفرح أمل بمجيئى ويعود كل شىء صافياً من جديد ، وأواصل الكتابة إليه :

* الغفران ليس من طبيعتى
والنسيان أيضاً ليس من طبيعتى
لكنك حين تدخل كالسيف فى دوائر حلمى ـ
أتحول إلى مساحات للحب والغفران .

* أحبك .. أكثر إتساعاً من رؤى عينيك
أكثر قرباً من مسامات جلدك
عصفور ينطلق من أطراف أصابعى
هارباً من ضيق الحروف الأربعة .

* تسألنى كل الفروع المتسلقة فوق الأيام
بلا جذر : ولماذا هو ؟
ـ لأنه لا يستطيع أن يكون أنتم ؟

* يسألنى قلبى بعفوية شديدة : من هو ؟
أرسمك امتداداً

لم يكن أمل مغرماً بالنثر كثيراً ، ولم يكن مغرماً بكتابة الخطابات العاطفية ، لكنه أمام عدم قدرته الدائمة على الإفصاح عن مشاعره بشكل صريح راح يكتب لى :

صباح الخير ..

فى المثلث الشمسى الممتد من الشباك إلى زاوية سريرى أراك متمددة فى الذرات الذهبية والزرقاء والبنفسجية التى لا تستقر على حال ، تماماً كنفسيتك ومع ذلك ابتسم لك وأقول صباح الخير أيتها المجنونة الصغيرة التى تريد أن تلف الدنيا على أصبعها ، والتى تمشى فوق الماء وتريد ألا تبتل قدماها الفضيتان!

المسافة بين أمس واليوم ـ لقاؤنا الممتد ـ طريق ينشق فى قلبى فى كل مرة أضطر إلى أن أتركك أحس أن لقاءنا الأول هو لقاؤنا الأخير والعكس صحيح ، لا أعرف تماماً لماذا هذا الإحساس لكننى أرجح أنه نابع من إحساسى بتقلبك الدائم وبحثك المستمر عن الحزن ، لا أريد أن أفكر كثيراً فى خلافاتى معك فهذا الصباح أجمل ما فيه أنه يقع بين موعدين ، بين ابتسامتين من عينيك ، صحيح أنهما سرعان ما تنطفئان لكننى أسرقهما منك ، وأحتفظ بهما فى قلبى ، وأتركك تغضبين وتغضبين ..

حسناً ! لا يهم ، فلقد عودت نفسى على أن أعاملك طبقاً لإحساسى وليس طبقاً لانفعالاتك ، أحبك ولا أريد أن أفقدك أيتها الفتاة البرية التى تكسو وجهها بمسحة الهدوء المنزلى الأليف ..

. . .

ظل أمل يبحث دائماً عن تأكيد لحبى له ـ دون أن يمنحنى نفسه هذا التأكيد. ـ كان شعوره الدائم بالوحدة ، وعدم الأمان ، يطالبنى بالمزيد من المشاعر وهو الواثق أن مشاعرى ليست فقط أضعاف مشاعره ، وإنما انتماء كامل له .

كنت أريد من مشاعره الكثير مـن الكلام ، والكثير من الإنفعال ، والكثير من النار والكثير مـن الحرائق ، وكان يمنحنـى مشاعـراً عميقة يـرفض تـأكيدهـا بالألفاظ .

كان يريد من مشاعرى المزيد من الهدوء ، المزيد من السكينة، من أجل لحظة اطمئنان واحدة لم يعرفها طوال حياتـه ، وكنت أمنحه انفعالات مستمرة وتوتراً عاطفياً لا يعطى استقراراً .

ولا أدرى سر هذا التناقض الدائم ، ففى داخلى مهرجان للفرح قائم ومع ذلك يشجينى شعور الحزن ، بينما يكمن فى أعماق أمل حزن لا ينتهى ومع ذلك فهو قادر دائماً على إحداث الفرحة والبهجة .

كان كل منا يبحث عن شيء يفتقده .

وكانت مشاعرنا رغم صـدقها القوى فى صدام مستمر ، ولا أدرى لماذا كنت دائمة الاستفزاز له بتشويه سمعة قلبى ، برسم صورة جافة له ، ولعل ذلك كان فى ظنى نوعاً من منازلته بنفس أسلـوب تعامله معى ، فهو لا يستطيع الإفصاح عن مشـاعره والتعبير عنهـا ، بل كـان هو الـذى يخفيها دائماً ، وكـأنها منطقة ضعفه الوحيدة .

لا يجيد عبارات الغزل والإطراء ، إن أقصـى ما يستطيع التعبير عنه (وجهك رومانتيكي) .

ـ تقصد ساذج !

يغضب بالفعل من سوء ظنى ، ويقول أقصد أنه جميل !

إنه يلقـى بالكلمات جـانباً ، ويطالبـك بالفهم والإحسـاس بعمق مشـاعره الداخلية حتـى وإن لم يفصح عنها ، إنه يطـالبك دائماً بأن يسكن قلبـك عميقاً حتى تستطيع أن ترى جيداً قلبه .

كان قليل الإفصاح عـن مشاعره وأحاسيسه ، بينما كنت شـديدة الإفصاح عنها ، والتعبير بكافة الأشكـال ـ رغم محاولات المكابرة ـ أنـا التى أطلب لقاءه ،

وأنا التى أبحث عنه ، وأنا التى تعلن مشاعرها واضحة فى كل لحظة .

ورغم ذلك ظل إلى سنوات يبحث عن تأكيد دائم ، ويقين وراحة وإطمئنان لاينتهى ، لقد ظل هذا الشعور الداخلى بانعدام ثقته فى العالم يحرك مواقفه دائماً أمام الأشياء والأشخاص ، إن ظهره لابد وأن يكون للحائط دائماً وقد كان يدرك جيداً طبيعة قلبه ، ولهذا لم يفتحه إلا لأشخاص يستحيل عليهم إيلامه ، لقد كان يملك قلباً نبيلاً أشد رهافة من احتمال أى محاولة لإيلامه ، ولهذا لم يفتح قلبه إلا لقليلين للغاية ، ربما خمسة ، أو ثلاثة ، أو واحد ، وربما كنت أنا ، وربما ، أحياناً ، لا يكون أحد .

كتب لى يوماً :

«ـ إننى لا أعتقد أن الشاعر فى قلبى تقاسم الكينونة مع القاتل فى أعماقى ، لقد قتلت عبر سنوات العذاب كل أمل ينمو بداخلى قتلت حتى الرغبات الصغيرة، والضحك الطيب ، لأننى كنت أدرك دائماً أنه غير مسموح لى بأن أعيش طفولتى ، كما أنه من غير المسموح به أن أعيش شبابى .

كنت أريد دائماً أن يكون عقلى هو السيد الوحيد ، لا الحب ولا الجنس ، ولا الأمانى الصغيرة ، لقد ظللت لا أقبل كلمة رقيقة من امرأة لأننى أضطر عندئذ إلى الترقق معها ، وهذا يعنى بلغة إحساسى ، التودد لها ، وهو يمثل الضعف الذى لا يغتفر .

وقد لا تعرفين أننى ظللت إلى عهد قريب أخجل من كونى شاعراً ، لأن الشاعر يقترن فى أذهان الناس بالرقة والنعومة وفجأة ها أنت تطلبين منى دفعة واحدة ، أن أصير رقيقاً وهادئاً وناعماً يعرف كيف ينمق الكلمات ..»

كان أمل قليل الكلام لا يعرف كيف ينمقها ، لكنه ، كان صريح المشاعر .

أيُّها الشعرُ ؛
يا أيُّها الفرحُ المختلَسْ

... ...
... ...
... ...

... ...
كلُّ ما كنت أكتب ؛ ... ...
في هذه الصفحة الورقيه ... ...
... صادرته العسس !! ... ...

نموذج خطى لأمل دنقل ـ من أوراق أبى نواس

(مزج أول) :

المجد للشيطان .. معبود الرياح .
من قال «لا» ..
في وجـــه من قالوا «نعم» .
من علم الانسان تمزيق العدم .
من قال «لا .. فلم يمت

من كلمات سبارتاكوس الاخيرة

من كلمات سبارتاكوس الأخيرة

«مبارزات الديكة»

ظل الاطمئنان الكامل هو جوهر ما يبحث عنه أمل فى علاقاته ، ولهذا اتسمت صداقاته دائماً بالمسافة التى تمنحه فى لحظات الثقة امكانية الرؤية ، وتمنعه من ذلك الالتصاق النفسى بأحد .. فهو لا يبحث عن سند خارج ذاته ، بعد أن أكسبته مرارة الأيام قدراً كبيراً من انعدام الثقة .. وأكسبته أيضاً درساً حول السفن الغارقة التى لا بد وأن يفر منها الآخرون .

إن الضعيف لا أصدقاء له ، بينما القوى يتزاحم من حوله الأصدقاء .. هكذا كان يردد دائماً ..

لا يوجد لديه أصدقاء فى المطلق ، فليس كل من يبدى له صداقته هو صديقه، كما أن الصداقة لم تأخذ دائماً معناً عاطفياً، فأحياناً يحب شخصاً ولا يكون صديقه ، وأحياناً تجتمع المساوئ فى شخص ، ويلتقى معه ويرتبط بصداقته .

ان حسابات القلب لا تعنى دائماً صداقة وإنما حسابات العقل والسلوك وإحترام التفكير هى محور ما يبحث عنه لدى الآخرين .

ومن هنا أخذت شكل الصداقة لديه أشكالاً مختلفة .. معظمها صداقات عقلية ، أو نوع من الائتلاف العقلى يحكمه حوار مستمر ، ومناقشات ومجادلات طويلة .. وكانت تلك النوعية من الصداقة تحتوى أفراداً مختلفين من يسار ، ويمين ووسط ، وكتاب وفنانين ، ونقاد ، فكل ما يحكمها هو الحوار العقلى .

عند مجيئه الأول للقاهرة كانت صداقته جزءاً من حركته الشعرية ومشوار إبداعه ، فقد خلقت ارتباطاً قوياً بمجموعة من الكتاب والفنانين سمواً فيما بعد (جيل الستينيات) كانوا يتحركون كمجموعة ، يدخلون الندوات والأمسيات

الأدبية كمجموعة حتى خلقت هذه الرفقة بينهم نوعاً من الارتباط والحماسة وإثبات الوجود .. فلم تكن لديهم وثنية ولا رغبة فى تجسيد آلهة أو رواد أو أساتذة وإنما الهدف كان دائماً هو البحث عن الذات الفنية والأسلوب الجديد .. وكان من بين هؤلاء : ـ

(سيد خميس ، محمد جاد ، عز الدين نجيب ، الدسوقى فهمى ، عبدالرحمن الأبنودى) .

وبعض الصداقات كانت تدمر شكل الحوار تماماً ، وتحيل العلاقة إلى مناجاة ، ومنولوج داخلى ، واحساس وجدانى عميق .. وبعضها يأخذ شكل الهدوء (خاصة حين يسلم الصديق بداية بمشاعر الحب الكامل لأمل) .. وبعضها يأخذ شكل النار المشتعلة دائماً .

ليست هناك طبيعة واحدة للصديق ، بل ليس هناك تحديد دقيق له ، أو لعلاقة أمل به .. ربما تفصله الأماكن والسنوات عن صديق ويظل أغلى الأصدقاء ، وربما يختلف مع صديق على المستوى الفكرى ويظل محافظاً على علاقة الود معه (يرفض تماماً النشر فى مجلة الثقافة لكنه يصادق رئيس تحريرها عبد العزيز الدسوقى) .

احتوت صداقاته كثيراً من الأشكال المركبة ، وكثيراً من أقنعة الحدة ، والمنازلات الملتهبة ، والمشاحنات الكلامية ، والمداعبات الشديدة .. كأنها السكاكين ..

مبارزات الديكة
كانت هى التسلية الوحيدة
فى جلستى الوحيدة
فوق غصون الشجر المشتبكة

ظلت هذه العلاقات شديدة التركيب حيث تبدو المداعبة حادة بينما يبحث

أمل خلالها عن نوع من الاطمئنان الكامل لا يجده دائماً ، أو نوع من الفهم والحب لـه لم يوفره الآخرون ، وربما لم توفره الأيام له شخصياً .. ولهذا اتسمت علاقاته دائماً بمزاج ساخر ، ومزاج حاد ، لا يحتوى شراً ، بقدر ما يحتوى مرارة الأيام الطويلة .

كان ذلك يحدث مع أقرب الأصدقاء وأحبهم إلى قلبه .. وربما كان ما يزيد الأمر تركيباً هو حرص أمل الشديد على عدم إيضاح علاقاته إذا غاب الفهم فيها، فهو شخص لا يعرف طرح الأسباب . ولا يعرف أشكال العتاب والثرثرة العاطفية إنه فقط يحب ويكره فى قلبه الصامت دون إفصاح ، ودون تحديد ظاهر .

كان القاص يحيى الطاهر عبد الله واحداً من أصحاب تلك العلاقة المركبة ، بل واحداً من أقرب الأصدقاء إلى قلب أمل ووجدانه ، رغم ما احتوته علاقتهما من اشتباك متواصل يتخللها فترات هدنة قصيرة للغاية ..

كان يوحدهما هذا الإخلاص الشديد لإبداعهما ، وتلك القدرة الثاقبة على التقاط أدق الأشياء ، وتلك القدرة على الرؤية الواعية الكاشفة ، مع الحرص على أن يكون كل منهما نفسه .

سكن معه شهراً وحيداً بفندق (الخليج) بشارع طلعت حرب أسماه أمل شهر العذاب ، فلم يكن يحيى يسمح لأمل بالهدوء لحظة واحدة .. إنه يعلن وجوده بصورة صارخة طوال اليوم ، ويحول دون الصمت الذى يعشقه أمل.. وفر كلاهما سريعاً من هذا السكن .

ورغم هذا الاشتباك المستمر ، فلم يكن أحد يجرؤ على الاطلاق بالخوض فى سيرة يحيى أمام أمل ، وإلا انفجر غاضباً وعنيفاً .. كما كان يحيى فى ثوراته الشديدة يلعن أمل ، فإذا لعنه الآخرون وهم معه ، يغضب منهم معلناً أنه الوحيد على هذه الأرض صاحب الحق فى سب أمل دنقل .

أضحك معترضة على أن يسير يحيى (بجوارنا) حاملاً ابنته أسماء على

كتفيه ، ينفعل يحيى علىّ ، ويطالبنى ألا أسير (جوارهما) بهذه الأفكار ..

إنه يوحد أمل معه فى ثقة شديدة ، تصل إلى حد تهديدى ، ليس بإبعادى عن طريقه ، بل عن طريق أمل أيضاً ..

يبتسم أمل من هذين الطفلين العنيدين اللذين يتنافسان على قلبه .

زار يحيي أمل فى مستشفى العجوزة ، عند اجراء الجراحة الأولى (١٩٧٩) ، وسألنى فى عصبية :

ـ لماذا ينبغى أن يموت أمل ، بينما يظل (أولاد الكلاب) أحياء .. وبكى . ولم يأت مرة ثانية .

مات يحيى فى حادث سيارة فى العام التالى ، ورفض أمل الاشتراك فى كل مراسم غيابه ، لم يسأل عن الأسباب ، لم يتكلم فى تفصيلات الموت ، لم يثرثر (بشكل عاطفي) حول يحيى كما كنا نفعل جميعاً ..

(إن يحيي خاص بى وحدي) قالها وبكى ..

كانت هى المرة الأولى التى أرى فيها دموع أمل .

إن صورة (الأخ الأكبر) ، وأحياناً صورة (الأب) ، كانت هى صورة أمل فى عيون اصدقائه المقربين ، فهو يستمع ، بل يعيش جيداً آلام أصدقائه إلى حد تدليل مشاعرهم .

أدرك جابر عصفور قرار فصله من الجامعة حين رأى أمل يدلله فى رقة شديدة .

هكذا كان يراه أيضاً د. يوسف أدريس .

قرأ أمل رسالة يوسف أدريس (أتظلم منك إليك) الموجهة إلى رئيس الجمهورية فى جريدة الأحرار إثر الهجوم الحاد الذى تم عليه ، فغضب من نبرة الشكوى فى أسلوب الرسالة ، وراح يعدّل بقلم أحمر فى أسلوب الرسالة .. ثم مزق ما كتب معلناً أن يوسف أدريس يجب أن يعلم أنه أقوى من رئيس

الجمهورية ، ولا بد أن يكتب بهذا الإحساس ثم طلب منى الاتصال بيوسف أدريس ، وإبلاغه بمساندتنا النفسية .

كان جوهر علاقته بيوسف أدريس هو الصعلكة ، ليس بالمعنى الساذج للكلمة ، ولكن بمعنى الرفض والخروج على الشرعية .

أيضاً كانت علاقته بالشاعر نجيب سرور واحدة من الصداقات غير الهادئة، بل كانت صداقة مدمرة فى شكلها الخارجى ، مليئة بالشجار ، .. والمشاحنات الدائمة ، مردها ، أغلب الظن ، إلى نوع من الغيرة الشعرية يحملها نجيب لأمل .

يرفض أمل ميلودرامات نجيب ، ويراها نوعاً من التمثيل الفاشل فيمارس استفزازه الحاد كلما رآه ..

(أزيك يا نوجه) ..

يغضب نجيب لهذا التدليل الجارح ، ويظل مهموماً طوال الوقت مهدداً برد الإهانة .. يتشاجران بالأيدى فى اليوم التالى .. ثم يشربان معاً فى مساء نفس اليوم فى بار (كازابلانكا) !!

* * *

يستفز أمل الكاتبة صافيناز كاظم بشكل دائم .. ويفسد لها ـ كما تقول ـ كل علاقات أو مشروعات زواجها .. فتحتد ملقية بكوب الشاى الساخن فوق ملابسه ، يبتسم أمل فى هدوء ، ويطالبها بمناقشته بعد ذلك مع كوب الشاى البارد . يمتد الخصام إلى سنوات وسنوات ، لكنها تظل ابنة جيله ، وتظل واحدة من أقرب الأصدقاء إليه .

* * *

الصوت عال ، والمبارزات حادة وساخنة مع كثير من الأصدقاء الذين سكنوا الوجدان لكن فى ذات الوقت كان هناك العديد من الصداقات الهادئة التى لم تحتو شجاراً ، أو مشاحنة ، أو خلافاً واحداً على طول زمانها .. ولعلها كانت تحتوى ، أكثر من الارتباط الوجدانى ، نوعاً من الائتلاف العقلي..

هكذا كانت صداقته بجابر عصفور فهى على طول زمانها لم يتخللها خلاف واحد أو حتى شجار بسيط .

يناقش د. جابر عصفور ديوان أمل العهد الآتى فى دار الأدباء بصورة اختلف أمل معها كثيراً حتى صار النقاش حاداً فى تلك الليلة .. وتنتهى الأمسية ويلتف الكثيرون حول أمل ونمضى خارجين من دار الأدباء .. فيفقدنى أمل وسط الزحام ، وينسى الكثيرين ، ويمضى مع جابر عصفور ليسهرا حتى الصباح فى مقهى على بابا بميدان التحرير .

* * *

عند تكوين لجان المجالس الثقافية اختار د. عز الدين اسماعيل أمل عضواً فى لجنة الشعر .. فرح أمل بالاختيار - رغم ما ردده عن محاولات استقطابه - وكان حريصاً على مداومة حضور اجتماعات اللجنة ، إلا أنه سرعان ما مل اللجنة - الوظيفة ، وبدأ يفقد الاهتمام بها .

شىء واحد إيجابى حققته له عضوية لجنة الشعر فى رأيه ، هو إتاحة هذه العضوية الفرصة لصداقته مع الشاعر فاروق شوشة ، أو على الأقل معرفته عن قرب معرفة جعلت أمل يعيد النظر فى ذلك الجمود السابق فى علاقتهما كشاعرين .

- إن فاروق رجل شديد الذكاء .. أشعر بتحقق الفهم بيننا دون كلام . إنه يقول حين لا يقول» .

وربما لم تتحقق الصداقة بشكلها الظاهرى بينهما . لكن حوار الصمت كان صداقتهما ، هكذا تؤكد مرثية فاروق شوشة (لأمل) سر الصمت الذى عرفه كلاهما :

نبتعد فيطوينا دوران اليوم وننسى
حتى يرجعنا التطواف إليك
ونقعى حولك

تتأملنا وتصنفنا
تقرأ فينا جيشان الدمع المخبوء
تطالع فينا زلزلة السمت المهزوم
تمتد يداك لتأخذ أنت بأيدينا
وتكفكفنا
نتهرب من عينيك .. ولكــن
صمتك يفضـــــحنا .

* * *

وربما أخذت الصداقة معنى النبل الذى يسكـن القلب عميقاً .. ففى الذكرى الثانية لرحيل الكاتب يوسف السباعى دعى أمل للمشاركة فى الاحتفال .

جاء يوم الذكرى ولم يكتب أمل بعد قصيدة .

أسألــه هل ستلقى قصيـدة قديمة ، أم ستكتـب قصيدة جديـدة خصيصاً للمناسبة . قــال : بل قصيدة جديدة مهـداة إلى يوسف السباعــى ، لكن المشكلة أنها لا تريـد أن تخرج فى شعر حديـث وكلما حاولـت التفكير فيها تأخـذ شكل القصيدة العمودية ، وبالفعل كانت قصيدة عمودية !

وقامـت الدنيـا ولم تقعد على هــذه القصيدة ، او بمعنــى أصح قــام اليسار المصرى ثــائراً على أمل .. كيــف له أن يكتــب قصيدة فى يـوسف السبـاعى بــل ويهاجم فيها الفلسطينيين الذين قاموا باغتياله .

وكعادة أمل فى عدم الالتفات لأحد .. لم يسقــط فى دوائر الدفاع ، بل إن الذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها ، لم يمتلك أحد منهم مواجهة أمل علناً .

جلس فى أتيليــه القاهرة ذات مســاء وأمامه مجمــوعة من الكتــاب والشعراء والفنانين منهــم اليسارى والشيــوعى .. وأخــرج القصيدة مــن جيبه ، ثــم راح يلقيها أمامهم بصوت عال .

لم يقاطعه أحد .. بل لم يسأله أحد بعد قراءتها : لماذا كتبت القصيدة ؟

كان أمل مقتنعاً بالقصيدة .. إنها صورة حب لصديق وقف بجانبه كثيراً فى فترات الشدة ـ التى اختفى فيها الكثيرون

لكنه ـ منذ اليوم الأول ـ رفض نهائياً نشر القصيدة .

لقد كتب القصيدة إلى (الرجل الخاص) بينما رفض نشرها (للرجل العام) .

أصدقاء عديدين من كل قطر عربى .. يأتون إلى القاهرة فقط للبحث عن أمل دنقل .. اقتحم ريش بشكل مسرحى شاب تونسى ، ووقف بطريقة استفزازية يعلن أمام الجميع : من منكم أمل دنقل ؟

لقد جئت من لندن خصيصاً لمشاهدته :

عامله أمل باستعلاء شديد رداً على سلوكه الاستعراضى الحاد .. فقلنا جميعاً إنها البداية / القطيعة .

لكنهما فى اليوم الثانى صارا من أعز الأصدقاء !

كانت صداقته قوية بالشاعر الفلسطينى أحمد دحبور .. وعندما سافر أمل (المرة الوحيدة) إلى بيروت (١٩٨١) لحضور مهرجان الشقيف الشعرى .. صرخ أحمد دحبور عندما رآه قادماً : لا أصدق عينى .. إن قلبى يكاد أن يتوقف!!

د/ سهيل إدريس صاحب (الآداب) كان واحداً من أصحاب العلاقات المؤثرة فى عمر أمل ، فقد حمل أمانة صوته الشعرى إلى كل من لا يعرفه من الكتاب والقراء العرب فى بداية صعوده الشعرى .. وتحمل أيضاً فى جرأة نشر العديد من قصائد أمل .. وعندما سأله أحد الشعراء عن نشره لقصيدة أمل (الكعكة الحجرية) قال :

إذا كان الشاعر جريئاً إلى حد كتابة القصيدة فهل يكون كثيراً أن أجرؤ على

نشرها .

أصدر ديوان أمل الأول (المبكاء بين يدى زرقاء اليمامة) دون أن يلتقى بأمل ولو مـرة واحدة وعندمـا التقيا فى معرض القاهـرة الأول للكتاب قال لـه سهيل ادريس :

لقد نفذت نسخ ديوانك من المعرض .. وأضاف مازحاً : لكن لاتظن انك شاعر جيد ضحك أمل وهو يقول لنفسه (انه يحاول ألا يبدو رقيقاً) .

قال له سهيل : أكتب لنا نقد القصائد .

ـ لا .

رد على الاتهامات ضدك

ـ لا .. فلا كتابة إلا كتابة الشعر .

هكذا حـدد أمل طريقـه منذ البدايـة لكنه تعلم مـن سهيل ادريس (الـرجل البشوش الوجه الخشن المعاملة) ـ على حد وصف أمل ـ موضوعية الحكم وكبح العاطفة !



« صفـــوف المجـابهـين »

كنا حـريصين دائماً على حضور الأمسيات الشعـرية والأدبية التـى تقام فى دار الأدباء أو فى أتيليه القاهرة .

وكـان معظم الشعـراء والكتـاب يتحاشـون أمـل والحوار معـه ، بل كـان الكثيرون منهم يتحـاشون حتى المرور أمـام مقهى ريـش خوفاً مـن رؤيته .. والغريب أن كثيرين منهم وكانوا من أصدقائى أصبحوا أيضاً يتحاشوننى .

كان الجميع يخشـــونه مـــبررين احســـاسهم بنوع مـن الرفض لسلوك أمـل الحاد معهم ، ومنطقه الاستفزازى الباحث دائماً عن مناطق ضعفهم .

قالـوا : إنه على الصعيد الاجتماعى فـاشل حتى النخاع ، إنـه نمام وكاذب ، وقالـوا : إن ملامحه لا تترك فى النفـس ارتياحاً .. وقـالوا : إنه أكثـر دمامـة من الجاحظ وأنه عدوانى سليط اللسان .

وربما كان أمل كل ذلك معهم ، لكن لم يسأل أحد منهم أى صعيد اجتماعى هذا الـذى فشل فيه أمل ؟ ومـع من بالتحديـد كان يمارس عدوانيته وحـدته ؟ ولماذا ؟ والغـريب أيضـاً أن كثيراً من الأصـدقاء كـانوا يـرددون ذلك فـرحين بمجابهة أمل ومنازلته كنوع من الفخر النفسى بداخلهم .

إن القاص ـ محمد مستجاب ـ وهو من أصـدقاء أمل ، كان يردد سعيداً أنه يتواطأ مع الزمن ضد هذا الشامخ القوى أمل .

وكان أمل حريصاً على أن يكون أول الناقلين لى ما يردده الآخرون عنه حتى لا يضربه أحد من الخلف عندى ، كان حريصاً على تقديم الجانب (السلبي) من صورته تاركاً لى البحث عن جوانبه الايجابية .

وكنت رغم ذلك ، ورغم ما يقال أراه أكثر الحاضرين حضوراً ، بل وأكثر الحاضرين جمالاً .

قالت لى ابنة أحد الأصدقاء : انك أجمل منه كثيراً .

ضحك أمل من استنكارها ، بينما أدهشتنى العبارة ، فقد كنت أراه دائماً أكثر جمالاً منى ، بل كان هو دائماً فى ظنى النموذج الجمالى كما أتصوره .

أحياناً أثور مدافعة عنه فيغضب الأصدقاء :

ـ ألا يكفينا أمل حتى تأتى أنت أيضاً ، إنه ليس بحاجة إلى مدافعين على الإطلاق .

ورغم هذا كان أمل يفرح كثيراً بدفاعى عنه أمام الأصوات التى تجابهه مهما كان شكل دفاعى ، ومهما كان شكل الهجوم عليه ولو من باب المزاح .. بل كان يغضب فى داخله إذا توحدت ـ ضحكاً ـ مع الآخرين ضده ، ويطالبنى ألا أنضم مطلقاً إلى صفوف المجابهين ، فمعى لا يقبل هزاراً ضده ، لأنه يمس القلب المرهف الذى ربما عرف للمرة الأولى الاطمئنان فى قلب آخر .

ضحكت معه يوماً بعد مشاهدة أحد الأفلام : **انها الجريمة الكاملة يمكننى الآن تدبير مؤامرة لقتلك دون خطأ واحد .**

لم يضحك .. وظل يذكرنى بذلك سنوات .. بل إنه فى إحدى ثورات الغضب راح يحكى لصديق عن مؤامرتى لقتله !!

كتب الشاعر (بدر توفيق) بعد وفاة أمل بأسبوع واحد فى إحدى الجرائد السعودية :

«إن أمل استطاع أن ينصب من نفسه عمدة على القاهرة ، يعرف كل صغيرة وكبيرة من أصول أهلها .. زواجهم وطلاقهم .. مقاضياتهم وديونهم ومكاسبهم، وحلهم وترحالهم ، وضعفهم وقوتهم ، وأحلامهم وإحباطاتهم وذلك من خلال بث عيونه الاستخبارية ليكشف نقاط الضعف فى حصون

الناس ، ثـم يشن هجومـه فتسقط القـلاع المنيعة .. واشتط بذلـك حتى أصبح معروفاً بيننا جميعاً بأنه عدوانى جارح ، سليط اللسان ، فانفض عنه الأصدقاء الطيبون إشفاقاً على أنفسـهم من مغبة صحبته».

ومن المؤكـد أنهم ضعفاء للغايـة ، ولهذا كانت عـلاقاتهم أو عدم عـلاقاتهم بأمل يحكمها الخوف بالأساس .. إنه الخوف الذى يحكم دائماً نفسية خاضعة تجاه رجل لا يخضعه شيء على الإطلاق .

إنه الخوف من النظر فى عينى رجل يفضح بصدقه الواضح ، وحقيقته عالم الزيف الذى يعيشونه ، ويتمسكون به ، بحثاً عن احترامات هشة .

كانوا يلعبون دور الشاعر دون أن يمتلكوا فى الحقيقة جوهر الشعر وروحه، ولعل أمل فى تصورى ـ كان الشاعر الوحيد الذى احترم الشعر وامتلك روحه.

كان قادراً على إنزال صـوت شعرى من فوق المنصة لأنه يقـدم شعراً رديئاً فيصفق من مقعده معترضاً على جرح الشعر .. ولقد اعتبر الكثيرون ذلك قسوة غير إنسـانية مـن أمل .. وكنـت اعتبر ذلك قمـة الرقـى الإنسانـى حين يمارس صـدقـه، ويحترم أغلى قيمـة .. فـالشعر لـدى أمـل لم يكـن يحتمـل انصـاف الموهوبين، ولا يسكن منطقة الوسط .

وقد تـرجم الكثيرون شعورهـم وانكساراتهم النفسيـة أمام أمل ، الشـاعر الأكثر تميزاً ، والإنسان الأكثر صدقاً ووضـوحاً ، فراحوا يصبون لعناتهم خفية عليه فى اشاعات عديدة ، واتهامات لا تنتهى .. وفى كل مرة يحاولون إلقاء الطوب بقسوة عليه كانت ترتد حجارتهم دائماً إليهم ، دون أن يقع أمل فى دوائر الدفاع بل ودون أن يلتفت حتى إلى الاستماع إلى تلك الأقاويل .

راح الكثيرون يرددون أن أمـل هو الشاعر الـوحيد الذى لم يعايـش تجربة السجن ، وراح آخرون أكثر كراهية للشاعر يكشفون نفوسـهم باتهامه بالعمالة للمباحث فى سنـوات الستينيات حيث كثر اتهام المثقفين لبعضهـم البعض ، فى تلك السنوات بالعمالة والشذوذ .

ودائماً أمل كان يسير ولا يلتفت لأحد كعادته .. كان رده الوحيد هو كلمته وقصيدته ، فقد كان الهام فى حياته هو الكتابة ، وليس البحث عن بطولات زائفة هزيلة ، مؤمناً أن شرفه الحقيقى هو الشعر ، وطريقه الوحيد للنضال يمر من خلال القصيدة ، ولا شىء سواها .

ومن منطلق آخر ، حمل جيل الشعراء الشبان بمجموعاتهم الشعرية المختلفة (اضاءة ـ أصوات) تراث الهجوم على أمل دنقل .. وهو هجوم أن بدا هجوماً مختلفاً شكلاً ومنطقاً ، فمع حسن الظن فيه يمكن تسميته بحوار فكرى حاد ، ولعله أيضاً لم يكن حواراً قدر ما كان خلافاً فكرياً حرص الشعراء الشبان بعد ذلك على تسميته بالتنوع فى الرؤية بين شاعر كبير وشعراء شباب .

كتب الشاعر حلمى سالم فى الكراسة الثقافية مقالة بعنوان (ادونيسيون ودنقليون) وكانت بها محاولة لمناقشة أفكار أمل فى الفن بنبرة شديدة الحدة .. وهاجم أمل باعتباره شاعر عصر محدد ، يقف فيه موقفاً محدداً ناصعاً ، ولعل الخلاف بالمقال كان حول درجة هذا النصوع والوضوح الذى رآه يغمط حق الفن أحياناً . كان جوهر الخلاف ينصب لديهم فى كون أمل يرى أن الشعر يأخذ ماهيته الأساسية من صلته بالجمهور ، ولأن له دوراً اجتماعياً وسياسياً ينبغى أن يكون ملموساً وملحوظاً لا أن يكون ملغزاً أو متعالياً على الجمهور .. وكان موقف أمل السياسى ورؤاه الفكرية تطغى على موقفه الجمالى ــ فى تصورهم ـ فاتهموه بالمباشرة !

كما استأنف بعض أفراد هذا الجيل هجماته بشكل حاد أيضاً مثلما عبرت عن ذلك مجموعة أصوات فى مقدمة ديوان (لمحمد سليمان) والتى راحت على عكس مقال مجموعة (اضاءة) تردد أن أمل دنقل شاعر كل العصور !

رآه البعض منهم شاعر عصر محدد ، ورآه الآخرون شاعراً لكل العصور ،

بينما كان أمل شديد السخط عليهم لانشغالهم بتلك التصنيفات والتنظيرات الضيقة أكثر من انشغالهم بالشعر ذاته .. ولهذا كان شديد الحدة فى التعامل مع بعضهم ، لا لأنهم شعراء ، بل لأنهم يجيئون إليه حاملين أفكاراً مسبقة ، وإدانات طويلة ، وهو الذى لا يسمح لأحد أياً كان، أن يحاصره ويضعه فى منطقة الدفاع .

وكان شديد السخط عليهم أيضاً ، لأنهم يرتدون عباءة أدونيس المضللة ، حيث يستخدمون الحداثة الفنية هروباً من الحداثة الفكرية ، والتى لا تفعل أكثر من تحديث العين العربية ، تاركة تحديث الفكر والوجدان العربى .

كان أمل حاداً فى مواجهة هذا المناخ النفسى لشعراء السبعينيات والذى انغلق على ذاته فى حركات غير قادرة على إقامة حبل سرى للتواصل مع المجتمع ومع المناخ الذى يعيشون فيه.

وقد كان أمل شديد النفور من صورة الأستاذ والمعلم المربت على أكتاف الشباب ، وهو الأمر الذى جعله دائماً حميم الملاحظة حاداً معهم . إلى درجة قد تبدو لدى البعض قاسية ، لكنه كان يفعل ذلك انطلاقاً من مسئوليته ، وفهمه لقيمة الشعر .

كان ذلك موقف أمل من أصحاب التنظيرات الجمالية الضيقة ، لكنه كان فى نفس الوقت إذا قرأ قصيدة لأحدهم وأعجبته فانه يحفظها ، ويردد أبياتها ، ويحتفظ بها بين أوراقه .

كتب الشاعر حسن طلب قصيدة بعنوان (زبرجدة إلى أمل دنقل) فى مجلة الدوحة ، وهى قصيدة فنية جيدة المستوى ، وإن كنت أشرت إلى أمل يوماً بأن حسن طلب أخطأ فى عنوان القصيدة والتى كان لابد لها أن تكون (زبرجدة إلى حسن طلب) لما تحتويه من نرجسية عالية .

أعجب أمل بالقصيدة بناء ولغة ورؤية ، بل فرح عندما قمت بتعليقها أمامه على جدران الغرفة بمعهد السرطان .. إلى درجة الإشارة لزائريه بقراءة القصيدة:

قلت : فناشدتك الله ما أعلمتنى
فيم أمتزت على أقرانك
وبم بزت أترابك ؟

قال : بحاجة مباحـــه
وديباجه مبيحه

قلت : فيا واحد الندى
رق لواحد القريحه

راجع الشعراء الشبان أنفسهم بعد ذلك فى علاقتهم بشعر أمل خلال ثلاث كتابات (افتتاحية العدد العاشر من اضاءة قبيل وفاة أمل بشهور .. مقال للشاعر حسن طلب بالدوحة إلى جانب القصيدة .. مقال للشاعر حلمى سالم بالثقافة الجديدة بعنوان الحداد يليق بالشعراء) .

قاموا بإعادة النظر فى رؤيتهم متخلين عن نبرة الهجوم الحاد ، باحثين بتوسع فى الرؤية عن مرتكزات الآداء الفنى فى شعر أمل .

ولعل إعادة النظر هذه كانت اعادة نظر شاملة فى رؤاهم الشعرية ذاتها وكتاباتهم أيضاً .

عندما قرأ أمل افتتاحية اضاءة والتى حمل غلافها صورته وتم فيها تعديل وجهة نظر جيل الشعراء الشباب فى موقفهم الشعرى منه .. لم يعلق بشىء كعادته .

سألته :

ـ أمل ، فى تصورك لماذا يتراجع شعراء السبعينيات فى هجومهم ضدك ؟

ببساطة لأنه لم يكن موقفاً مبدئياً ينطلق من رؤية حقيقية شاملة وقراءة جديدة للشعر قدر ما كان فى كثير من الأحيان نوعاً من السلوك الاستفزازى .

ولعل ذلك كان سبباً فى عدم الالتفات الذى يمارسه أمل دائماً إلى الهجمات التى تمت عليه انساناً وشاعراً ، بل إنه أيضاً لم يمارس الالتفات إلى من يكتب عنه حتى بشكل موضوعى .

أعجبته مقـال بعنوان «فى العزف على أوتـار الغضب» لـرضا الطويـل قال :
المقال جيد على الرغم من كونى لم أسمع بصاحبه .. قال له صديق :
يمكننى أن أعرفك به إن ذلك يسعده .
أجاب أمل : ولكن لا يسعدنى !

إن كبرياءه الشعرى حاد للغاية ، حتى إن الصديق إبراهيم منصور كان يراه مريضاً دائما بالكبرياء .

جاءت إليه صديقه متهللة وكأنها تحمل بشرى :

ـ معـى ، فى الغد ، مـوعد مع د/ زكـى نجيب محمود ، وقـد طلب مجمـوعة أعمالك .

غضب أمل من تهافت الصديقة ، واعتبر أن ذلك الفرح الذى بها يمس كرامته كشاعر ، حين يضعه فى مكانة أقل من مكانة الفيلسوف .

وقال : لست أنا الذى يرسل كتبه إلى أحد .



« أول الفقـــراء »

كان مقهى ريش هو مكان اللقاء دائماً ..

أقنعنى أمل بـالتخلى عن منطقى البرجوازى ، وتلـك الوثنية التى أمـارسها تجاه الأماكن ، فلا يوجد مكان نحبه ، وآخر نكرهه ، هناك فقط شخص يسعدنا الجلوس معه أو لا يسعـدنا ، وكانت كلماتـه منطقية وعادلة ، فبـدا ريش معه أجمل وأرق الأماكن التى تصلح للقاء عاشقين .

ـ أدركت فيما بعـد أيضاً أن ريش كان ضرورة لا بد منها ، حيـث كان يمكن لأمل أن يؤجل دفع الحساب لحين تتوافر معه نقود .

أننى أول الفقــــراء
الذين يعيشون مغتربـــين
يموتون محتسبين لدى العــــزاء
قـــلت : فلتكـــن الأرض لى ولهـــــم
وأنا بينهـــــــم
فأنا أتقدس فى صرخة الجــــوع
فوق الفراش الخشــــــن

لم يكن الفقــر لدى محدد الملامــح ، فلم أدرك فى ذلك الـوقت أن هنــاك فقراً يصل بشاعر إلى حد الاستدانة ، أو أن هناك رجلا لا يستطيع امتلاك ثمن كوب من الشاى ، أو فنجان من القهوة ..

كان العالِم البرجـوازى الذى قدمت منـه يحكم عيونى ، لكنــه أبداً لم يسكن قلبى ، فقد كنـت منذ البداية أمتلك قلبـاً مستعداً ، لأن يبيع العالم كلــه من أجل

هذا الشاعـر الذى يملك بنطوناً واحداً أسـود ممزقاً ، كأن هذا الثقب الناتج من احتراق سيجارة يطل من فوق الركبة ، وكان أمل يحاول مداراته دائماً عن عيونى البرجوازية بينما كنت أبحث دائماً عنه . وأنا أكاد أعتذر عن ملابسى الأنيقة .

قال أحد جلساء ريش ساخراً عندما رآنى للمرة الأولى موجهاً حديثه إلى أمل

- **إنها ليست منا** .

يومها بكيت دون أن أفهم أو أسأل ماذا تعنى (منا) هذه .. وكيف يتوحد الرجل مع أمل دونى .

قلت للرجل الذى لا أعرفه : **أنا منكم** .

فى هذا اليوم قرر أمل ألا يحادث هذا الشخص لأنه أغضبنى ، وقبلنى فى رأسى مؤكداً علناً .. لست مطالبة بالدفاع أمام أحد على الإطلاق .. أنك تنتمين إلى قلبى .

وكان ذلك وحده كافياً .

كانت المسافة كبيرة بين عالمى وعالم أمل فى صورتها الظاهرة ، كنت أنتمى إلى أسرة محافظة ثرية ،

كنت أنتمى إلى منزل هادئ ، كما أن طفولتى كانت قادمة من أيدى الراهبات الفرنسيات .

لكن شيئاً ما كان مختلفاً منذ البداية .

ففى بلدة والدى كنت أعرف الجلوس مع الفلاحين ، أجمع معهم أشجار القطن دون أن أشعر فى هذه اللحظات أننى أنتمى إلى أشجار القطن والأرض التى نملكها قدر ما كنت أنتمى إلى البشر المتعبين فيها ، كان سلوكى فطرياً ، فهمت معناه جيداً وأنا أقرأ أبيات صلاح جاهين :

القمــح مــش زى الــدهــب

القمـــح زى الفـــلاحين

ولم يبق من المدرسة الفرنسية سوى **(غرفة الأحلام)**

تسدل الراهبة ستائر الفصل الدراسى ، فتظلم الغرفة ، وتطالبنا بوضع رءوسنا فوق الأدراج ، لنحاول النوم مع الأحلام السعيدة .

لم يبق فى ذاكرتى من هذه الطفولة سوى (الحلم) ، والذى ظل مشدوداً كالنداء إلى المستقبل القادم .

كنت أمتلك الكثير من الأشياء ، والكثير من التدليل للأبنة الوحيدة بالأسرة .

وكان أمل ينتمى للريح والاضطراب . فرغم عزوة عائلته ، وقوتها ، وثرائها. إلا أنه كان دائماً لا ينتمى إلا إلى نفسه . كان والده عالماً من علماء الأزهر .. كان الوحيد فى العائلة بل فى القرية كلها الذى حصل على أجازة العالمية من الأزهر (١٩٤٠) ولهذا سمى ابنه الأول **(أمل)** الذى ولد فى نفس العام تيمنا بنجاحه .

كان والده يكتب الشعر العمودى ، ويمثل السلطة الصارمة التى تصل إلى حد فرض العزلة على طفولة أمل ، ومعاملته كرجل صغير ليس من حقه ممارسة اللعب ، والنزول إلى الشارع والتعامل مع الأطفال ، حتى نشأ أمل طفلاً انطوائياً خجولاً .

عرف أمل فقد أبيه فى العاشرة من عمره فصار ـ بحق ـ رجل البيت فى هذه السن الصغيرة ، بعدما صار الأهل غرباء ، **يسرقون الأرض من بين عينيه ، والصمت يطلق ضحكته الساخرة .**

صار اليتيم وعائلته الصغيرة ، بعدما تخلى الجميع عنهم ، سلعة لمن يملكون الثمن .

ورأيت ابن آدم ..

يتصب أسواره حول مزرعة الله

يبتاع من حوله حرسا ويبيع لأخوته

الخبز والمـــاء

يحتلب البقرات العجاف لتعطى اللبن

قلت : فليكن الحب فى الأرض

لكنه لم يكن

أصبح الحب ملكاً لمن يملكون الثمن

. . .

ورأى الرب ذلك غير حسن .

علمه اليتـم والألم والمرارة والظلم أن يصبـح رجلاً صغيراً منـذ طفولتـه فى العاشرة ، لم يعـرف يعرف كان يلعـب الأطفال فى شوارع القـرية ، ظل أعـواماً طويلة يرفض أكل الحلوى لأنها فى نظرة لا تـرتبط بالرجولة ، اشتهر بين رفاق الصبا بأنه الشـخص الذى لا يعرف الابتسامة .

ظل يرفض دخول دور السـينما حتى سن الرابعة عشرة ، لأن ذلك لا يايق به كشاب جاد ، حتى أن أول فيلم شاهده كان (**مصطفى كامل**) .

ترك الدراسة بعد اتمام دراسته الثانوية ، وبدأ رحلة البحث عن نفسه وحيداً وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره .

علمه حصار الظـالمين وظلم الأقربين والأهل الانتباه الشديـد للناس إلى حد الفزع ، وعلمـه أن يكره كل الظلم وكـل القبح وكل الـزيف (**وعلمت القلـب أن يحترس**) .

وعلمه ضياع ارث أبيـه وهو طفل على أيدى أعمامه أن يهب أحـلامه للفقراء وأن يخاصم الظلم ويخاصم العدل الذى لم يتحقق .

خصومة قلبى مع الله

قلبى صغير كفستقة الحزن .. لكنه فى الموازين

أثقل من كفة المـــوت

هل عرف الموت فقد أبيه ؟

هل اغترف الماء من جدول الدمــع

هل لبس الموت ثوب الحداد الذى حاكه ورماه ؟

خصومة قلبى مع الله .. أين وريث أبى

ذهـــــب المــــلك

لكن لاسم أبى حق أن يتناقله ابنه عنه

فكيف يموت أبى مرتين

أيتها الأنجم المتلونة الوجه

قولى له : قد سلبت حياتين

أبـــق حيـــاه

ورد حيـــــــاه

كان أمل ينتمــى إلى الشوارع ، والأزقة ، والطرقــات حتى أنه ذكر يــوماً أن تاريخ الأرصفة هو تاريخه الشخصى .

كــان يحمل بــؤس الفقراء والمطحــونين ، ويمتلــك معهم الكثير مــن المعانــاة والعذابات الطويلة .

ومنذ اللحظة الأولى لمعرفتــى بأمل سقط كل الزيــف البرجوازى ، وأصبحت أرى عالماً واحداً فقط هو عالم أمل دنقل .

ربما هو عــالم شديد القســوة ، شديد الخطورة أحيـاناً ، لكنه كــان الصدق الوحيد فى حياتنا ، الذى يجب أن ننتمى جميعاً إليه .

قال الشاعر **نجيب سرور** وهو ينظر فى عينى أمل متعمداً :

- اسرعى بالفرار عصفور فى اليد خير من عشرة على الشجر .

ابتسمت بعناد : أنا لا أحب العصافير .

خاصمنى كثير من الأصدقاء لمجرد معــرفتى بأمل ، وحذرنى الكثيرون من أصدقائه وأصدقائى من الاستمرار فى معرفة هذا الشاعر خوفاً على سمعتى مع

رجل لا سمعة له .

سار ورائى رجلان مـن الجريدة (**لا أعرفهما ولا يعـرفهما أمل**) ، وراحا يغنيان بصوت عال أغنية عزيز عثمان (**الغراب خطف اليمامة**) .

كان الارتباط بأمـل يشكل فى أذهان الناس علاقة خطـرة ، وخاصمت العالم من أجله ، من أجل نبالته الشديدة ، وقلبه النقى .

ـ اننى لن أستطيع الزواج بك فانا لا أمتلك شيئاً .

ـ سنتزوج .

ـ ستشقين معى فانا لا أملك قوت يومى .

ـ سأشقى أكثر بدونك ، وأنا أملك قوت غدى .

ـ كيـف يمكننى الزواج بك فى ظـل كل ظروف الاجتماعية ، ألم تـدركى بعد أنى لا أستطيع رؤيتـك كل يوم لأن علاقة الحب هى بـالأساس علاقة اقتصادية لا أقدر عليها .

(كان أمل كثير التهرب من فكرة لقائى اليومى ، وكنت أبكى قسوة القلب الذى لا يمتلـك نفس مشـاعرى ، وكـان يقبل تفسيراتـى وبكائى صـامتا ويؤجل اللقاء به إلى يومين أو ثلاثة بعد) .

ـ أمل أنا أحدثك عن الحب والزواج لا عن المجتمع واقتصاده .

ـ اننى أتكلم عن صميم علاقة الحب بك .

إننى أتكلم عـن ثمن كوب الشاى الـذى لابد أن أدعوك إليه ، إننـى أتكلم عن ثمن علبة سجائرى التـى لا بد من توافرها معـى حتى لا أستعير سجائرك ، أن يحيي الطـاهر عبـد الله يغضـب حين يرى معـى علبة سجـائر كاملـة إن علبة السجائر ليسـت فقط رمز ثراء بيننـا بل هى إشـارة إلى ثراء مريب يستـدعى غضب قصاص كبير كيحيى .

إننى أتكلـم عن الوصول إلى مـوعدك عبر مواصلات عـامة خانقة لابـد من توافر ثمن تذاكرها ، اننى أتكلم عن الجوع الذى يحاصرنى يومين ، فأنام هارباً

منه ، ثم أستيقظ به للقائك .

إننى لا أتكلم عن المجتمع لكنه ، يصر على أن يحضر معى للقائك .

إنك تعملين وأنا لا أعمل ، ولن أعمل ، انك تحملين شهادة جامعية ، وأنا لم أفكر ، وربما لم أمتلك ما كان يمكننى من مواصلة الدراسة بكلية الآداب ، ففصلت بعد عامى الثانى فيها .

اننى أتكلم عن راتب شهرى يمكن أن يعول أسرة لابد لها أن تأكل وتنام على الأقل .

ان اختياراتى ليس عليك أن تتحملى تبعاتها وعذاباتها .

وكأنى لم أسمع شيئاً من هذا الذى انفجر داخله للمرة الأولى بعد سنتين من معرفته .. كنت أعتبر ذلك دخولاً فى تفصيلات هامشية لا تمس جوهر الحب وجوهر الحقيقة .

ـ أمل إننا سنتزوج ليس فقط انتصاراً للحب ، ولكن ، إنتصاراً لاختياراتك .

* * *

أيـــدوم لنـــا البيـــت المرح
نتخـــاصـم فيــه ونصطلـــح
دقـــات الســاعـــة والمجهــول
تتبـــاعـــد عنـــى حين أراك
وأقـول لـزهـر الصيـف أقـول
لـو ينمـو الـورد بـلا أشـواك
ويظـل البـــدر طـوال الــدهـر
لا يكبر عـن منتصـــف الشهـر
آه يـــا زهـر .. لـــو دمـت لنـــا
أو دام النهــــــــــــــر .

أمــل دنقـــل

« أول الفـــــرح »

أحدثت فكـرة الزواج زلزلة فى حياة أمل كلهـا ، هو الذى ظل يفاخـر طويلاً بعداوته لمؤسســة الزواج ، حتى أن أحد الصحفيين فى جريـدة الفجر الخليجية اعتبر زواج أمل دنقل خبراً مثيراً يستحق التعليق عليه ، فهو أمر لا يمكن حدوثه إلا فى لحظة من لحظات الغيبوبة أو السكر الشــديد ، أو المقامرة ، فكيف يتحول أمل برضاه من رجل يسير على رأسه ، إلى رجل يسير على قدميه !

كل شىء مع فكرة الزواج كان يبدأ من جديد .

بدأت فكـرة السفر خـارج مصر هى الحل الاقتصادى أمـام رجل يـريد أن يتزوج ، هكذا بدأت فكرة الزواج بمشكلة نفسية تحوله من حالة شاعر لا يشغله شىء إلا الشعـر ، إلى مجرد رجل عادى تشغلـه قضايـا عادية حـول اجراءات الزواج ، واعداد مسكـن ، وإمكانيات مادية لا بـد من توافرها ومـلابس زفاف وعرس ، وثوب العرس هو الذى ظل طويلاً لديه النجمة التى تدور فى سراب .

كانت بيروت هـى الطريق الأول المفتوح ، خـاصة بعد أن عرض عليـه طلال سليمان رئيس تحرير جريدة السفير مسئولية القسم الثقافى فيها .

ولم يكن الأمـر سـهلاً بالنسبة لى ، وبـالتأكيد بـالنسبة لأمل أيضاً . بـل بدأ الارتباط بى بهذا الشكل ، فى ظنى ، مدمـراً حيث يحول شكل العلاقة وطبيعتها من فتاة استطاعـت أن تمنحه بعضاً من الطمأنينة والهدوء داخـل ذاته القلقة ، وعلى أرض الوطن ، إلى زوجة سترسل به إلى الاغتراب والمنفى مرة أخرى .

فى سنة ١٩٧٦ كتب أمـل قصيدة **(مقابلة خاصـة مع ابن نوح)** أعطانى القصيدة ، وقـال إنها أول قصيدة أكتبها إليك .. وكـانت القصيدة تحمـل رؤية

سياسية وإجتماعية بالأساس ، بل وأنا غير موجودة فيها على الإطلاق .

قلت : لكنى لست فيها .

ـ كيف ، انك صلبها الأساسى ، لقد استطعت أن تعيدى لى الإحساس قوياً وجميلاً بالوطن .. ان سطورها الأخيرة هى أنت بالتحديد :

يرقد الآن تحت بقايا المدينة
وردة من عطن
بعد أن قال (لا) للسفينة
وأحب الوطن .

بدأ السفر يشكل لى أزمة نفسية ، على مستوى إغترابى ، وعلى مستوى أنه يدمر ليس فقط علاقة الحب وما أحدثته من تغير داخل نفسية أمل ، ولكن لأنه سيعود بنا مرة أخرى إلى البداية ، أو يلقى بنا إلى المنتهى ، حين نبدأ بالفشل ، ويقول أمل (نعم) للسفينة .

شغلت كثيراً بفكرة السفر **(الحل والهزيمة)** ، لكن أمل كعادته فى مواجهة المشاكل الحياتية اليومية ، لا يتوقف كثيراً أمام تفاصيلها . ولا يستغرق ظاهرياً فى همومها ، أو بمعنى أدق لا ينشغل بمناقشتها ، بل يتركها وراء ظهره تاركاً للأيام مساحات لإختيار الحل.

ثم كان زلزال آخر أحدثته فكرة الزواج ، وهو اضطرار أمل إلى بيع بعض القراريط التى يملكها عن والده فى الصعيد من أجل اتمام الزواج ، وإقامة العرس، وشراء خاتم ماسى ثمين أصرت عائلتى على أن يكون شبكة العروس التى هى أنا .

ولم أكن أفهم معنى بيع أرض الصعيد حتى أدركت صعوبة ذلك فى نفس أمل ، فكل شىء إلا الأرض ، ولهذا لم يبعها ولكنه رهنها لأحد الأقارب ، وكان

أيضاً لا يحب الخوض فى مثل هذا الموضوع كثيراً ، وكأنه جزء من شرفه الصعيدى .

قبل موعد الزفاف بساعات قليلة ، وبعد أن استيقظ أمل متأخراً كعادته راح يشترى مع صديقه المثال عونى هيكل بدلة العرس ، وقميصاً وكرافتة حتى تأخر عن الموعد قليلاً .

كان طبيعياً خلال حفلة العرس ، سار كعريس تقليدى وسط دفوف الزفة ، وموكب الشموع التى تحمله الفتيات الصغيرات ، لكنه ، لم ينس أن يمنح الراقصة وعازفى الدفوف معها اكرامية خاصة .

كانت هناك أكثر من سيارة ، بينها سيارة زينت خصيصاً بالورود لتحملنا بعد انتهاء الفرح إلى شقة العرس ، رفض أمل ركوب هذه السيارة ، وأصر على أن نركب سيارة أجرة !!

ولم يكن الأمر فى تصورى يحمل أى دلالة لدى أمل سوى دلالة الارتباك ، لكن هذا الموقف شكّل لدى والدتى استياء تجاه أمل ، لكنها سرعان ما قبلته مضطرة فى اندهاش !!

لم أفكر كثيراً فى السيارة المزينة بالورود وموقف والدتى المستاءة ، ولم أفكر أيضاً فى السيارة الأجرة وموقف أمل المربك ، فالفرح قائم داخل أى سيارة أو حتى سيراً على الأقدام .

كان الزواج هو أول الفرح ، بل هو الفرحة الوحيدة فى عمر أمل كله ـ على حد تعبيره ـ بينما كان أمل هو كل الفرح الذى أعطاه الله لى ، وأغدق فى عطائه .

* * *

فى صباح ليلة العرس نزل أمل لشراء علبة سجائر ، ولم يعد ظهراً ولم يعد حتى الثامنة مساء .

وكدت أجن .. هكذا أول القصيدة كفر .

وبانفعال سألته : **أين كنت ؟**

أجاب بهدوء كعادته :

ـ دعيت إلى كأسين فى صحة زواجى ، فامتد الحوار ، وضاع الزمن . أقسمت يومها ألا تدخل الخمر بيتنا على الإطلاق .

وافق أمل بسهولة ، فالأمر لا يعنى شيئاً ، لن تدخل الخمر بيتنا لكنه سيدخل كل بيوتها .

«**يا إلهى كم أنت طيب .. خلقت لنا الخمر الجميلة**» هكذا كان يستعير دائماً صوت كازنتزاكس .

...

خلع سترته ذات مساء ، مخرجاً من جيبه كأساً من الويسكى .

بكيت زواجى من لص خمور .

ضحك أمل من مثالية لا تدرى أن إطفاء أنوار البارات لا يعنى إطفاء جذوة الشوق إلى الثمالة .

سألته فى بداية لقائى معه :

ـ هل تشرب لتكتب ؟

استنكر بشدة الربط بين إبداعه والخمر ، مؤكداً أنه على العكس حين يمارس الكتابة فهو يمارس قمة وعيه حاضراً ، ولهذا فهو لا يكتب حتى وهو نصف ثمل.

هل تريد قليلا من الخمر ؟
إن الجنوبى يا سيدى يتهيب شيئين :
قنينة الخمر ـــ والآلة الحاسبة .

هكذا راح أمل يسجل موقفه الداخلى من الخمر فى قصيدة الجنوبى وكأن الخمر هى إحدى الأقنعة التى كبرت فى المدينة يوماً بعد يوم ، مخفية وراءها الملامح ذات العذوبة ، والقلب الذى يترقرق بالطيبة .

كان كل شىء يبدو مختلفاً .

الساعة الواحدة مساء ، أو الثانية أو الثالثة : **هل لديك مانع لدعوتك إلى شوارع القاهرة ؟**

وقبل أن يكمل عبارته أكون قد ارتديت ملابسى ، ومع أول نظرة إلى الشارع نبدأ فى الغناء :

يا نسمة الحرية ياللى مليتى حياتنا
يا فرحة رايحة وجاية
بالحب فوق جنتنا

الحرية كانت هى الملمح الهام والمميز لشخصية أمل ، وهى جزء أساسى فى تكوينه الفكرى والسلوكى ، إنها مطلب وجودى وحياتى وقومى ملح ، تتطلب منه نوعاً من الصراع الدائم والمستمر لتكسير كل عوائقها وثوابتها ومسلماتها.

ان العائق قائم ومستمر ، والتكسير أيضاً قائم ومستمر .. كسر قانون الصعيد الصارم حين خرج على اللغة السائدة والتقاليد الموروثة والعرف العام، خرج حتى على المسلمات الدينية وإيمان العوام والمقدسات الثابتة .

إن قصيدة (**مقابلة خاصة مع ابن نوح**) لا تشكل خروجاً فقط على الموروث الدينى السائد ، بل تشكل تعديلاً وتثويراً لطبيعته ، حيث يطل ابن نوح فيها متمرداً عصرياً ، خارجاً من فكرة العقوق السلفى إلى الثورة .

خرج أيضاً على ثقافة الطبقات السائدة والأطر الشرعية الجامدة حين تكتسب رموزها تجسيداً سلطوياً ، بل وعبثياً باطلاً ، يهبط دائماً إلى نتائج خاضعة ..

أبانا الذى فى المباحث
نحن رعاياك .. باق
لك الجبروت .. وباق لنا الملكوت

وباق لمن تحرس الرهبوت

كسر أمل الاحتقار الذى يكنه الشعراء الجدد للقافية كقيمة موسيقية .

كسر الانتماء للميثولوجيا الإغريقية التى سادت رموز الشعر بالخمسينيات.

كسر احتقار الشعر السياسى الذى ساد فى أوائل الستينيات للإنحطاط اللغوى والفنى الذى ساد الشعر الوطنى بالخمسينيات .

كسر ما يسمى بالمصرية والشعبية فى الشعر بانتمائه إلى الحضارة العربية والشعر العربى .

إن عمليات الهدم المستمر كانت مشواره المستمر للتحقق سعياً إلى الحرية كغاية ومطلب ، ولهذا أخذت الحرية ـ كقيمة ـ شكل الصراع ، وليس شكل التحقق المطلق ، فلم تحتو أشعاره أغنية مطلقة للحرية ، ولكنه دخل فى صراع مع سجونها ومقاصلها وعوائقها ، فالإنسان الحر هو الإنسان الحقيقى ، وقد كان أمل دائماً انساناً حقيقياً فى شرف سعيه إلى الحرية ، وفى شرف تحقيقه لها، يكون دائماً نفسه ، وليس ما يريده منه الآخرون ، أو ما تفرضه عليه الأخلاق العامة .

إنه يعيش دائماً ، ويسلك دائماً ، كما يريد هو ، ممتلئاً بحياته حتى الثمالة يحيا كل لحظة أضعافاً مضاعفة ، بطولها وعرضها وعمقها وارتفاعها .

ومن هنا اكتسب مشواره مع الحرية معنى زمنياً يضاعف وعيه بالحياة حين يضاعف نبض اللحظة ويثريها .

انه نفسه دائماً ، وليس ما يريده الآخرون ، ولهذا رفض كثيراً الانضمام إلى جماعة ، أو إتجاه ، أو حزب معين ، مؤمناً بحريته الفكرية والسياسية والتى شكلت الأفكار الماركسية والوجودية الكثير من خطوطها .

ولم يكن عزوف أمل مقصوراً على المؤسسات أو الجماعات الرسمية والتى بالطبع كانت تشكل تناقضاً جذرياً مع أفكاره ، بل كان عزوفاً أيضاً عن

المؤسسات الثورية أو الحزبية المعارضة .

ولقد أتيحت له العديد من الفرص ، كان من الممكن أن يكون بسببها (نجماً ثورياً) ككثيرين ، لكن الأحزاب المصرية فى ممارساتها ، ورؤاها السياسية والفكرية كان لأمل موقف صريح منها . بل إن الأمر كان أبعد من ذلك ، إنه فهم أمل لدوره كشاعر ، يتحقق كيانه الحقيقى داخل القصيدة من حيث هى قصيدة فنية تخدم قضايا هذا المجتمع ، يتحقق من خلالها فهمه للوطن ، والثورة والحرية .

ان الاتجاه السياسى الذى تفصح عنه قصيدة ما لا يمكن أن يكون صحيحاً إلا إذا كان إتجاهها الفنى صحيحاً .

لقد كان موقفه السياسى فى خدمة وطنه ، وكل القوى الثورية ، دون أشكال أو مؤسسات ، وكان ذلك واضحاً وصريحاً فى شعره وأسلوبه ورؤيته .

إنه ضد المؤسسات من حيث هى مؤسسات ، وضد الأحزاب من حيث هى أحزاب ، وحتى لو وجدت المؤسسة الثورية السليمة لصعب على أمل فى ظنى الاندراج فيها . فالأحزاب لديه كانت تعنى دائماً اليقين والثابت وهو الذى ظل طوال حياته ضد اليقينى ، والثابت ، والأفكار والعقائد الساكنة .

كما أن الشعر فى داخله كان يدفعه إلى تجاوز كل يقين مؤقت إلى عوالم جديدة ، ولهذا وقف دائماً مع (الحلم) ضد (الواقع) ، ومع الآتى ضد (الحاضر)، مكوناً وحده حزباً شعرياً على الآخرين أن يتبعوه ويسيروا وراءه .

...

كان سؤاله الشهير قبل الزواج وربما بعده أحياناً إلى الأصدقاء المتزوجى :

ـ كم فقدت من الحرية بعد زواجك ؟

يجيبونه ضاحكين : ـ خسائر قليلة .

ولم يخسر أمل كثيراً فى زواجه اللهم إلا بعض القيود الصغيرة ، والتى لا تمس جوهر حريته ، وإن كان كثيراً ما ظن أن زواجه بى (أفسده) فبدا أكثر رقة

من ذى قبل ، وربما عرف شيئاً لم يكن يعرفه على الإطلاق ، وهو الخوف .. الخوف على ! إن مجرد تأخرى فى العمل ساعة بعد موعدى معه ، يصيبه بالقل ، والخوف غير الطبيعى ، حتى أجىء فيطمئن ويعود إلى هدوئه .. كما أن خروجه من البيت بمفرده كان يحمله نوعاً من التوتر والإحساس بالذنب الداخلى لتركى بالمنزل وحدى ، ثم يضيق بهذا التوتر والقلق فيحملنى أسبابه ، ويصر على خروجى معه ، حتى صارت القاهرة تعرفنا دائماً متلازمين ، فى المقهى ، فى الشارع ، فى الاتيليه ، فى الندوات ، وسط الأصدقاء ، فى المسارح ، فى دور السينما

بدونا صديقين أكثر من زوجين ، بل خرجنا على أشكال الزواج التقليدية حين صار الشارع بيتنا نقضى فيه أكثر مما نقضيه داخل المنزل .

كان الحب فى داخله ، وكان التصاقى الشديد به يشعره كثيراً بالقيد والتوتر والعبء النفسى أحياناً ، ولعل مرد ذلك إلى إحساسه العميق الدائم بأنه لم يمنحنى راحة أو أن الحياة ذاتها لم تمنحنا إستقراراً .

احتدت المناقشة فى إحدى الأمسيات بمنزل أحد الأصدقاء بينه وبين أستاذ جامعى للأدب العربى ، ثار الرجل مطالباً أمل أن يلزم حدود المناقشة مستخدماً عبارة (**اعرف حجمك**) .

جن أمل يومها ، مؤكداً أن لا رأس أعلى من رأسه على هذه الأرض جميعها حاول الرجل الاعتذار ، وحاول معه كل الحاضرين ، وأمل لا يقبل اعتذاراً مختنقاً فى داخله بالحاضرين وزوجاتهم ، ولعله تمنى فى هذه اللحظة لو كان على قارعة الطريق حراً غير مقيد بشىء ، لقتل الرجل قتلاً .

ظل أمل ثلاثة أيام لا يستطيع النوم ، لأنه لم يستطع أخذ ثأره جيداً ، بل واتهمنى يومها بأنى أفسدت سلوكاته فإن وجودى وحده هو الذى حال دون عنفه ، بل ودون عنق الرجل .

كان صعيدياً حتى النخاع إذا غضب .. انه ينفجر فى دمه .

ولعل تلك التحسبات أو تلك السلوكات الاجتماعية التى فرضها عليه وضعه كزوج كانت إحدى الخسائر التى فقدتها حريته فى ظنه .

* * *

يستيقظ أمل ظهراً وكنت أصحو قبل ذلك كثيراً حتى يمكننى الذهاب إلى جريدتى والعودة قبل استيقاظه كمن هى على موعد غرامى جديد .. فقد كنت أشعر دائماً بفرحة حضوره ، وأحرص على تواجدى معه .

كثيراً ما غالبنى النوم فأقوم بغسل وجهى ، وتناول فنجان من الشاى أو القهوة ليساعدنى على الاستيقاظ جواره ، ولم يكن يعنى ذلك حواراً دائماً ، فأمل قليل الكلام داخل المنزل ، انه ينسى وجودى ، وكأنى صرت نفسه فيمارس صمته الطويل وشروده وقراءته المستمرة .

حين تكونين معى أنت
أصبح وحدى
فى بيتى

الصمت أيضاً ملمح هام فى طبيعة أمل داخل المنزل ، ولعل طبيعة الكتمان الذى يفرضه على مشاعره ، وعلى قلبه هى جزء من طبيعة الصمت الذى يمارسه، مكتسباً بذلك معنى التواصل ، وكأنه يكون حين لا يقول وليس حين يقول .

يجلس مع والدته طوال اليوم ساعات طويلة دون أن يقيم حواراً معها .. وهى أيضاً لا تلفظ كلمة واحدة أو تبادله الحديث .

- أمل لماذا تظل صامتاً ولا تكلم أمك كثيراً ، بل كيف تتبادل هى معك هذا الصمت طويلاً ؟

- إن هذا أجمل ما فيها .. إنها تعرف كيف تصمت معى !

هو الصمت ، السكينة ، والهدوء ، والاطمئنان ، والقوة ، والصلابة ، والنبالة، والتواصل الإنسانى ، بل إن شعره أيضاً عرف كيف ينقل هذا الصمت الحاضر .

...

ولم أمتلك فى البداية هـذا الفهم الإنسانى للصمت ، وكأنــى أنتمى للضجيج وكان هـذا يزعـج أمل كثيراً فى بـداية زواجنـا ، فيفرض على الصمـت ، بينما لم أحـاول يومـاً أن أفـرض عـليه الضـجيج ، فإذا شـاء الصمـت ، صمـت مضـطرة .

ربما هو الفـارق الزمنى بين عمـرينا **(١٣ عاما)** وربما هو فـارق الخبرة والتجربة فى حياة كل منا هو الذى أحـدث نوعاً من الاختلاف النفسى وأبعدنى عن أن أكون الزوجة / الأم ، أو حتى الزوجـة / الزوجة ، وجعل منى ما لم أكن أريده ، وهـو على حد تعبيره طفلتـه المستحيلة ، شـديدة الإنبهـار به ، شـديدة الإعجاب به ، إلى حد التمثل .

أتحســـس وجهــــــــــك !
(هـل أنـت طفلتــى المستحيلـة
أم أمـــــــى الأرمــــــــلة ؟)

يبدأ فى قـراءة الكتاب فـلا ينام حتى الانتهـاء منه أو إذا غـالبه النـوم يضع الكتاب مفتوحاً أمام عينيه حتى إذا استيقظ خـلال نومه المتقطع ، يواصل قراءة الكتاب ، ولهذا لم ينم سـوى فى الضوء دائماً .. بل كانـت قراءته تأخـذ أوضاعاً غريبة ، مرة وهو ممدد بعـرض السرير بينما الكتاب مفتوح على الأرض .. ومرة ممسكاً بالقلم وتذيل هوامش الكتاب حتى ولو كان كتاب القرآن .

كان ينام على بحيرة من الأوراق والكتب والمجلات والأقلام والجرائد عجزت تماماً عن تنظيم تلك الفوضى حتى أصابتنى أنا أيضاً مثله العدوى ،

واختيار القراءة كان اختياراً للشعر . .

فمثلما فرضت عليه البيئة الصعيدية اختيار الكتابة كاختيار طبيعى داخل مجتمع متخلف ، تصبح للكلمة فيه وقعها السحرى ، فرضت عليه مكتبة والده (عالم الأزهر ، الشاعر) توجها نحو الثقافة الدينية ، كما أن اختياره الذاتى لكتابة الشعر ، فرض عليه داخل بيئته المحدودة تلك أن يبحث عن مصادر ثقافته الخاصة ، ويكون لنفسه صوته الخاص دون مساعدة من أحد .

كانت مكتبة والده الدينية أول مصادر ثقافته ، بما احتوته من كتب فى الشريعة والفقه والتفسير .. وما ضمته من كتب التراث والشعر القديم .

ولا أدرى إذا كانت ثقافته الدينية فى تلك الفترة المبكرة من حياته هى التى فرضت عليه نشاطه الدينى ، من إلقاء خطب الجمعة فى المساجد ، وأمامه المصلين وحضور الاحتفالات الدينية ، أم أن نشاطه الدينى الذى استواه فى سنوات الصبا تلك هو الذى حتم عليه تكثيف قراءاته الدينية .

فى الخامسة عشرة من عمره .. اشترى من إحدى مكتبات مدينة قنا كتابين (الفتوحات المكية) و(ألف ليلة وليلة) .

اندهش أحد الأصدقاء : (ابن عربى .. وألف ليلة !!) كتاب دينى وكتاب جنسى ؟!

ورد أمل بأن ذلك لم يخطر على باله ، فلم تكن ألف ليلة فى ظنه كتاباً إباحياً ولكنها كانت كتاباً هاماً . وجده أمامه فى مكتبة قنا بثمن زهيد ، هو خمسة قروش للجزء .

فى تلك السنوات قرأ العديد من كتب التراث والملاحم والسير الشعبية ، ثم أعاد قراءتها بعد ذلك مرات عديدة ، وفى طبعاتها المختلفة ، يحركه حس تاريخى لاكتشاف الطبقات المتراكمة وراء الحكايات والمعلومات .

ففى قراءته لكتاب ألف ليلة وليلة ـــ كما ذكر يوماً ـ كان يبحث عن الجزء المصرى فيها والآخر البغدادي ، والآخر الذى يرجع إلى ممالك تيمور لنك كما وجد أن شخصيات مثل هارون الرشيد أو أبو نواس لا علاقة لهم بشخصياتهم

الحقيقية ، وإنما هى مجرد رؤية شعبية لها .. ولاحـظ أن أغلب أبطال ألف ليلة تجاراً ، حيث شهـدت هذه الفترة ازدهـاراً لطبقة التجار الـذين امتلكـوا الحياة الاقتصادية بينما امتلك المماليك مقاليد السلطة .

كانت القراءة بالنسبة إليه بحثاً واكتشـافاً ، لم تكن مجرد تراكم للمعلومات ولكن ، ما تثيره هـذه المعلومات فى الذهن ، حتـى يمكن القول بأن قراءتـه كانت عملاً إبداعياً .

يقرأ عـن الإلّه (هبل) فيبحـث عن امتـداداته فى الحضارات الأخـرى ويعقد مقارنة ودراسة مكتوبة بينه وبين الإلّه (بيل) عند الكنعانيين ، والإلّه (بعل) عند الأراميين .

ثم يقدم دراس تاريخيـة عن قبيلة (قريش عبر التاريـخ) ويقوم بنشرها ثم يقوم بإعـداد دراسة طويلة عن أسبـاب نزول آيات القرآن مـن منظور تاريخى (رفضت جريدة الأهرام نشرها) .

ظل اهتمامه بالتراث وبأيام العرب والتاريـخ الإسلامى يرجع بالأساس إلى محاولته الـدائمة للبحث عـن هويّة ـ كما أكـد دائماً ـ إنطلاقـاً من حس عـربى وإيمان بأن مصر عربية الروح ، عربية الانتماء .

وقد حـاول أمل فى كتابـاته الأولى ، استخدام الأسـاطير الفرعونيـة ، فكتب قصيدة استخدم فى احدى مقاطعها قصة الأخوين (باتا) ، ولما قرأ هذه القصيدة على الدكتـور لويس عـوض (وهو من أكثر المتحمسين لفـرعونية مصر) سـأله الدكتور لويس عما يريد قوله داخل المقطع بالقصة الفرعونية ، وعندما ذكر أمل الخلفية الفرعونية المستخدمة داخل القصيدة ، تنبه الدكتور عندئذ فقط .

كانت هذه الـواقعة كثيراً ما يشير إليها أمل فى معرض حديثه عـن توقفه عن استخدام التراث الفـرعونى فى شعـره ، لقد تيقن بـأنه تراث لا يحيـا فى وجدان الناس وأنـه ليس لـه أرضية ، وعمـق يمكن استخـدامه ، بـل إن انتماء المصرى

الحقيقى هو انتماء عربى وإسلامى بالأساس ، فالبطل الوجدانى المصرى . هو الحسين وخالد بن الوليد وليس أحمس أو أوزوريس .

وقد كان فى تقديره دائماً أن هذا التراث الإسلامى ، أو هذا الانتماء الإسلامى لدى المصريين هو فى حقيقة الأمر إحساس بالعروبة ، متخذاً شكلاً دينياً .

وفى أواخر الخمسينيات بدأ أمل الاهتمام بقراءة الكتب الماركسية ، والوجودية ، فقرأ ماركس ، وانجلز ، واهتم بشكل خاص بقراءة كتب لينين .. ثم بدأ تكثيف قراءاته لفلاسفة الوجودية (كيركجارد ، هيدجر) وبشكل خاص كتب سارتر وكامى (الوجود والعدم) و(أسطورة سيزيف) (الإنسان المتمرد)، لكنه فيما بعد ركز كل اهتماماته فى كتب التاريخ ، والسياسة والاقتصاد ، واللغة ، والكتب الدينية ، والتراث ، والأساطير ، والإبداع الأدبى بالطبع .

ويظل برأيي كتاب القرآن الكريم ، والكتاب المقدس (العهد القديم . العهد الجديد) هم أهم ثلاثة كتب فى ثقافته ، تلقى الكثير من الضوء على إبداعه ولغته .

* * *

ومع القراءة (العمل الابداعى الكاشف) يطل الحضور المبهر للذاكرة .

يتمتع أمل بذاكرة عظيمة ، تستطيع استحضار كافة التفصيلات ، واستعادتها فى نضارتها الأولى .

إنه قادر دائماً على استعادة جزئيات دقيقة من كتاب قرأه فى ليلة واحدة من سنوات ، قادر على استعادة قصيدة كاملة (ولو رديئة) لشاعر غير معروف ، أو قصيدة نسى صاحبها ان ما يردده أمل هو كلماته .

انه بالفعل ـ كما ذكر بدر توفيق ـ يعرف كل صغيرة وكبيرة من أصول أهل المدينة وتجاربهم .

إنها الذاكرة ، تلك الهبة الطبيعية التى شكّلت احدى مفردات الموهبة .. ففى صباه الباكر حفظ ألف بيت من الشعر القديم (من أجل أن يكون شاعراً) كما

قال له مدرس اللغة العربية فى المدرسة .

وتكاد قصيدة «الجنـوبي» أن تكون قصيدة (الذاكرة القويــة) ليس فقط فى استعادتها للطفولة البعيدة ، بل لأن مفردات اللغة فيهـا تكاد تتطابق مع رسالة نثرية كتبها أمـل (قبل عشر سنوات من القصيدة) إلى الدكتـور سهيل أدريس نشرت فى اليوبيل الفضى لمجلة الآداب (عدد ديسمبر ١٩٧٧) :

«يلتفت القلب إلى الوراء !

هل كنت أنا ذلـك الفتى الممتلئ بالحلم الواثق (اليوم : أمـع شظاياه من أرضية الـروح القاتمة) هـل كنت أنــا الذى وضــع ذات صباح قصيـدة فى غلاف وعنوانها : بيروت ـ الخندق العميق ـ شارع سوريا (الآن : من حفر الخندق بين بيروت وشارع سوريا ؟)

يلتفت القلب إلى الوراء : من دل يدى على عدد الآداب ، قلبـت فيه فوجدت اللمسة التى هــش لها القلب ، لمسه جيل جديـد يكتب ببساطة ورقــة وسخرية واثقة ، حتى المعـارك التى تشتعل خلف غبارهــا عذوبة طفلية ورغبــة جارفه للكبر قبل الأوان .

يلتفت القلب إلى الوراء :

كيـف استطعت أن أصبر عـددًا تلـو الآخر دون أن أجـد اسمـــى ـ لابـد أن بضاعتى فاسدة دون أن أدرى ـ إلى الاسكندرية أيها المغامر ، لاشعر بعد اليوم ـ واكتشف فيما بعد أن قصيدتى نشرت ، وهكذا قرأت قصيدتى الأولى فى الآداب بعد عامين كاملين من نشرها ـ حين قررت العودة إلى الشعر والقاهرة استعنت بصصديـق لاستعيد ما فـاتنى مـن القصائد والأسماء ، وهكذا وجـدت نفسى محشوراً فى صفحتين كاملتين . وتحتهما توقيعــى الكريم **(رحم الله صديقى : فقـد تخرج وحارب وتـزوج وأنجب وطلـق ومات فى خمس سنـوات)** اذن فالآداب طويلــة البال والحبال ، ولو ظللنا على هذه الحال لفقـأت الآداب مرارتى قال لى صلاح عبـد الصبور : لماذا لا ترسل شيئا لــلآداب ، لقد نشرت هنا كثيراً

لكنك لن تكون شاعراً عربياً إلا إذا نشرت لك الآداب.»

ولعل قصيدة (الخيـول) فى الديوان الأخير ، لا بد أن تستحضر معهـا خيولاً اخرى فى الـذاكرة ، سكنت قصيـدة (العشاء الأخير) فى الديـوان الأول .. ولعلها تستحضر فرس الطفولة الـذى أوقعه يوماً وترك فى جبينه شجـاً ، وعلمت القلب أن يحترس .

إن الذاكرة جزء من عمله الإبداعى ، فهو لا يضـع تخطيطات أولية لقصيدة ثم يتابع تطورها .. ولكنها تتراكم فى ذاكرتـه يوماً بعد يوم ، وسنة بعد أخرى دون مسودة واحدة .

إن كل شىء محفور فى ذهنه المتقد ، فأمل شاعر .. بل رجل لا ينسى !

كان مـزاجى العصبى الحاد يجعلنى فى ثـورة دائمة على أمل داخـل المنزل ، فهو زوج كسول ، لا يفكر فى كياننا كأسرة ، وكأن كل ما فى الأمر أنه بدل من أن يحيا بمفرده ، أصبح يحيا مع صديق آخر ، لا تشغله مشاكل ولا مواعيدٌ ولا أى شىء، يحترف الصمت ، ويهرب من كل أشكال الحوار ، فكل ما يشغله هو كيف يقرأ ، ويكتب فى هدوء .

أغضب منـه فأمزق صمتـه بالثرثـرة ، وإعلان حضورى الصـارخ ، أعلن العصيان والتمـرد حتى عن تقديـم كوب شاى ، أو منـاولته جريدة أو كتـاباً ، بينما يأخذ غضبه صورة هادئة للغايـة ، يرفض فيه منطق الخصام والعصيان والتمـرد الصغير ، ويصر ـــ رغـم غضبـه ـــ على خـروجـى معـه ، ويصرّ على محادثتى، ويهدينى نبالته .

أمتنع عـن الطعام معلنة الإضراب يـوماً كامـلاً ، حتى يغالبنـى الجوع بعد منتصف الليل فآكل ، يلقى على محاضرة كاملة فى كيفية اتخاذ موقف ، فالمواقف

الصغيرة لا يصح أن نمارسها ، والمواقف ذات خطوط الرجعة ببساطة ليست مواقف .

* * *

كانت الشهور الأولى من الزواج شديدة الصعوبة من الناحية المادية ففكرة السفر إلى بيروت تراجعت ، كما أننى لم أكن مقتنعة تماماً بالسفر ، وأمل أيضاً لم يكن متحمساً لها بشكل جدى ، فلم نطرحها كثيراً بعد الزواج ، إن جذورنا ممتدة إلى آخر مدى داخل الأرض المصرية .

كان راتب أمل الشهرى من تلك الوظيفة الاسمية بمنظمة التضامن الأفروأسيوى لا يتجاوز الثلاثين جنيهاً ، بل إن العمل طوال حياته لم يكن شاغله، فقد كان دائماً موظفاً فاشلاً لا يذهب إلى مواعيد العمل أبداً .

إن الوظيفة أو المال أو البيت أو الثروة أو أى طموح مادى أو حتى معيشتى لم يكن من شواغله ، فهمه الوحيد ، وطموحه الأكبر ، أن يعيش لحظة الإيقاع النادرة بين نثر الحياة اليومية وتوتر الشعر .

ولم يكن راتبى من العمل بالجريدة فى ذلك الوقت كبيراً ، ربما لم يتجاوز الخمسين جنيهاً ، كان هذا هو كل دخلنا المادى ، بينما إيجار الشقة المفروشة التى نقيم فيها وحدها خمسين جنيهاً ، هذا غير أجر الشغالة الذى يصل إلى عشرة جنيهات شهرياً ، أى أنه كان ينبغى علينا أن نحيا بعشرين جنيه فقط ، ودون مساعدة من أحد .

ولم يكن الفقر يعنى لدينا شيئاً ، أنه ليس أكثر من حالة يمكن أن يعيشها أغنى الأغنياء ، وكنا فى أشد لحظات الفقر أكثر غنى من كثيرين.

جلس معنا صديق ، فتح حافظة نقوده الممتلئة (ربما بأكثر من ألفى دولار أجر عمل من أعمال السيناريو التى يقوم بها ...)

هل تريان كل هذه الأموال !

ضحكنا فقد كان شديد الفقر رغم أمواله .

وكان لأمل صديق تاجر سيارات ، وكانت سعادته الوحيدة ، بل متعته الكبرى هى البحث عن أمل طوال الليل لدعوته على العشاء ، إنها الفرصة الوحيدة لتأكيد سيادته أمام مجموعة من المثقفين والمشاهير ، وكان أمل يرفض هذا المنطق النفسى الرأسمالى فيصر على دفع حسابه وحسابى .

يقسم الرجل ويلح بإنفعال شديد يصل إلى حد البكاء ، دموع حقيقية تملأ عينيه وهو يردد : **لماذا يا أستاذ أمل ، إن دعوتك شرف لى .**

لكن أمل العنيد يصر أكثر وأكثر :

ـ اننى لن أمنحك هذا الشرف .

يغضب الحاضرون من تعنت أمل : الرجل يدعوك وهو صادق فى دعوته .

ـ حتى الصدق لا يشترينى .

وعلى العكس من ذلك ، يملك خمسين أو ستين جنيهاً ، فيدعو أصدقاءه إلى العشاء ..

إنها الحساسية الشديدة أو مرض الكبرياء كما أسماه ابراهيم منصور .

دعا أمل ستة من الأصدقاء إلى السهر معنا ، وكان كل ما فى جيوبه يومها لا يتجاوز ستين جنيهاً ، وعندما جاءت فاتورة الحساب كانت قد تجاوزت الثمانين حاول بعض الحاضرين الإسهام فى دفع الحساب ، بينما أمل يصر بشدة ، بل يقسم أن لا يحدث أبداً .. أنكم ضيوفى .

يزداد إندهاشى ، فأنا أعرف ما فى جيوب أمل ، يضحك من إندهاشى وحرجي، ويهمس لى : **لا توجد كارثة فى العالم .**

ثم يكتب إلى الجرسون : **هؤلاء جميعاً ضيوفى ، وهذا كل ما معى حتى أجيئك غداً ، ينحنى الجرسون باحترام شديد ، ويصر على إيصالنا حتى باب المطعم .**

كان المال يسبب له حساسية خاصة تمس الكبرياء ، وهو الكريم ، بل والشديد الكرم إلى آخر مليم فى بيته .

كانت فترات الفقر الشديد ، تزيدنا صلابة وإقتراباً من بعضنا البعض ، لكنها كانت تصيب أمل عند تأزمها بالكآبة والحزن العميق ، فالأمر أصبح لديه مختلفاً ، لقد أصبح رجلاً متزوجاً ، يحمل مسئولية شخص آخر ، ولم يكن الأمر بالنسبة لى مشكلة على الإطلاق .

أكثر من يوم يمر دون أن نمتلك مليماً واحداً فى المنزل ، أضحك وأقول صادقة : **ـ الطعام ليس كل شىء ، فلدينا الكثير من الكتب ، والكثير من الأشعار ، والكثير من الأغانى .**

كلمات رومانتيكية بالتأكيد ، لكنى ، لا أدرى لماذا كنت دائمة التعامل مع الفقر ، بل ومع شخصية أمل عموماً بهذا التصور الرومانتيكى الخيالى .

يرتدى أمل ملابسه وينزل إلى الشارع ليعود لنا بالطعام (بعض الساندوتشات من الفول والطعمية ، وعلبتان من سجائر الدانهيل لى وله وقطعة من الشيكولاته) لقد استدان أمل جنيهين لإحضار الطعام .

ـ لماذا قطعة الشيكولاته ؟

ـ لأنك تحبينها .

ـ لكنى لا أريدها الآن .

يضحك ساخراً .. تذكرى أن الفقر حاله إياك والسقوط فيها .

كان الفقر فى منزلنا يحولنا إلى أثرياء ، وكان الفقر يضاعف احترامى لهذا الشاعر الذى يمكنه كثيراً النوم جائعاً ، بينما يستحيل عليه النوم يوما متنازلاً أو مساوماً أو مصالحاً ، وما أكثر المتنازلين العارضين أنفسهم فى أسواق البيع والشراء ، ينامون وبطونهم تمتلئ بالتخمة ، وعقولهم بالمهانة .

« سكنى القلوب »

علمنا الانتقال من شقة مفروشــة إلى أخرى ، ومن فندق إلى آخر ، ألا نحب الأماكن ، بل نحب البشر .

لم يعرف أمل طـوال حياته منزلاً واحـداً يمتلكه ، أو بيتاً خاصــاً يسكن فيه لكنه عـرف كيف يقتسم غـرف أصدقائه ، حتــى صارت جدران غـرف المدينة تحمل بعضاً من ذكرياته ، وبعضاً من ضحكاته ، وبعضاً من أشعاره ، وبعضاً من كتبه .

كـــان يســكن قـــلبى
وأســـــكن غرفــــته
نتقاســـم نصــف الســـرير
ونصـــــف الرغــــــيف
ونصــــــــف اللفــــــافة
والكـــــــتب المســـــــــــتعارة

كل إنسان التقى به أجده يخبئ تحت جلده ، صور ة فوتوغرافية لأمل عليها بصماته ، واهداؤه ، ويحمـل أمل شرياناً فى قلبــه ، وإحساساً خاصــاً به وحده حتى أنــه بعد رحيله ، أرسل لى العــديد من الأصــدقاء دواويناً ودفاتــراً وأوراقاً شعرية بخط يد أمل ، كان كل منهم يحتفظ بها كجزء من ذكرياته مع أمل ، كما أن كثيرين أيضاً أصروا على الاحتفاظ بما لديهم من أمل لأنفسـهم .

إن أجمل ما فى أمل ، هذا الوجدان العام ، أنه خاص جداً جداً .

ولعل مفهوم الناس لـديه يحتاج إلى الكثير من التوقف ، فهـو ملتحم شديد الإلتصاق بهم ، يحمـل همومهم ، ويدرك أدق وأصغـر تفصيلات حيـاتهم ، ما لديه هو للآخرين ، وما لدى الآخرين هو له .

أمر طبيعى للغاية أن يقتسم ما فى جيوب أصدقائه ، وأن يستدين جنيهاً من أول شخص يلتقى بـه ، وأمر أكثر طبيعة ، أن يصبح كل مـا فى جيبه لمن يلتقى بهم ، ودون انتظار سؤال .

إنه ممتلئ إحساساً بالناس ، خاصـة الفقراء منهم ، بل إن الأغنياء يصيبونه بحساسية خاصة فى التعامل .

لا يسكن الأغنياء بها

الأغنياء الذين يصوغون من عرق الأجراء

نقود زنا ـ ولآلئ تاج

ومسبحة للرياء

وهو بذات الوقت ، بعيد ، لا يسمح لأحد باقتحامه من الداخل .

هو سند، نفسى ، وجدار صلب للبشر ، يلتصـق بهمومهم ، لكنه قادر فى أى لحظة شاء ، على فصل هذا الالتصاق والابتعاد .

ولعل هذا الابتعـاد المتعمد ، وهذه المسافـة المفروضة بعقلانيـة دقيقة بينه وبين الآخرين ، لم تكـن انفصـالاً قدر ما كـانت تعميقاً لهذا الالتحام الإنســانى حين تمكنه مـن الرؤيـة بوضــوح . فالناس هــم نماذجه الإنســانية ، ومـن هنا اكتسبت التجربة لـديه معنى إنسانياً حين يتخلق فيهـا الإنسان ، وحين تصبح هى المدخل للاكتشاف والمعرفة .

أيها الناس كونوا أناساً

هى النار ، وهى اللسان الذى يتكلم بالحق

إن الجروح يطهرها الكى

والسيف يصقله الكير

والخبز ينضجه الوهج
لا تدخلوا معمدانية النار
كونوا لها الحطب المشتهى
والقلوب : الحجارة

إن التجربة لديه لم تكن أبداً مدانة ، خاصة عندما يتعلم منها الإنسان ويخرج منتصراً على ذاته .. أنها التفرد الخاص المؤكد للحضور الإنسانى .

الناس تفر دائماً من السفن الغارقة

كانت هذه إحدى عباراته الشهيرة ، ولهذا رفض الغرق ، والشكوى والمليودرامات العنيفة ، والانهيار النفسى ، بل ويواجهه بحدة .

إنه يكاد لا يؤمن بالذنوب ، ولا يقربها ، شريطة أن يخرج منها الإنسان إنساناً فهو أكثر وعياً بالشقاء الإنسانى منه للخطيئة الإنسانية ، وهو حريص على التعامل مع جوهر الأشياء ، وقلوب الناس الحقيقية ، ولهذا رفض كل الأقنعة الخارجية ، والسلوكات المدعية ، والاحترامات الهشة ، بحثاً عن جوهر الإنسان الذى أمامه ، ومن هنا بدا حاداً فى تكسيره لتلك الأقنعة ـ الحماية.

ربما حطم أشياء كثيرة خارجية ، حين لم يلتزم بقواعد لعبة الاحترام المتبادل ، لكنه ، كان دائماً يسعى إلى الدخول سريعاً إلى قلب التجربة .

وقد يختلف معنى التجربة لدى الآخرين ، فتكون لحظة ضعف ، أو لحظة خجل ، أو لحظة خاصة ، لكنها كانت لدى أمل دائماً اكتشافاً ومعرفة لابد له من الوصول إليها فى نماذجه التى لم تكن لديه استرجاعاً ، ولكن إحساساً وتعايشاً، فهو لا يستطيع أن يحس بما يحسه الآخرون إلا إذا عاش حياتهم ، ولهذا رفض نهائياً كل مطالبة بتميز الفنان عن بقية أفراد الشعب ، إنه يكتب بالدم المراق ، والقلق الكئيب ، والحزن العميق المطل فى وجه من يراه .

إن كل إنسان يراه هـو نموذجه الإنسانى ، وهو جـزء من تجربته الجمالية وقد يأخـذ التعامل معه شكل الانقضـاض ، وقد يأخذ شكل الحدة ، وقـد يأخذ شكل التعاطف ، وقد يأخذ شكل الصمت ، لكنه دائماً كان يحمل سلوكاً إنسانياً يبحث عن طبيعة القلب الذى أمامه .

فى اليوم الأول الذى رآنى فيه سألنى وهو يحدق فى وجهى بطريقة غريبة :

ـ هل تخجلين من الحبوب المنتشرة فى وجهك ؟

وخجلت بالفعل ، وارتبكت من السؤال المباغت حتى بادرنى :

ـ إنى أحب هذه الوجوه .

زارنا أحـد الأصدقاء المغاربـة ، وكان يسير على قدم واحدة ، بينما تسـاعده عصا بدلا من القدم الثانية ، كانت هى المرة الأولى التى يلتقى فيها بأمل :

ـ أهلا يا أستاذ أمل .

ـ أهـلا يا أعرج !

إنه يكسر المسافات دائماً ، وإن بدا التكسير حاداً ، بهدف الاقتراب .

* * *

من شارع ٢٦ يوليو ، انتقلنا إلى غرفة بفندق بنفس الشارع ، ثم انتقلنا إلى شقة مفروشة أخرى بشارع قصر النيل .

كانت الشقة لا بد وأن تؤجر بشغـالة معها ، غضبت الشغالة حين علمت أن السكـان الجدد (نحـن) مصريـون ، بل زوج وزوجـة ، حين يتقلـص دورهـا وتصبح بالفعل شغالة فقط ، بينما هى بالحقيقـة كانت تجسد شبكة غريبة من العلاقات المشبـوهة لخدمة السائحين العرب ، بدءا مـن تغيير العملة ، إلى جلب الفتيات ، إلى العلاقات مع المطاعم والسنترالات ومكاتب الخدمات الأخرى نظير عمولـة لها ، لتوفير كافة الخدمـات للسائح ، وبالطبع بـأسعار خرافية (كـانت تخفض لنـا إلى النصف عنـدما نعلـن أننا مصريـون) ، بل إن الشغـالة كـانت

تستأجر شغالة اخرى للقيام بأعمال المنزل لتتفرغ هى لإدارة هذا العالم الغريب .

وكان أمل يجلس بالساعات ليستمع إلى تلك الحكايات ، لتلك الشبكات الغريبة دون إدانة للبشر فيها ، وكنت لا أحب تلك الحكايات والاستماع إليها ، وكان أمل أيضاً لا يحب لى الاستماع لها ، بل كانت الشغالة أيضاً تتوقف عن حكاياتها حين ترانى .

وفى شقة أخرى بشارع الانتكخانة ـ بعد منتصف الليل ـ دق جرس الباب فإذا بفتاة صغيرة فقيرة المظهر ، كانت تظن أن ساكنى الشقة طلاب عرب ففوجئت بنا ، ولتدارى الموقف ، وقفت تشرح لأمل وهى تبكى بحرقة حقيقية كيف اعتدى عليها الطلاب الذين كانوا يسكنون قبلنا ، وكيف لم يدفعوا لها أجرها كاملاً .

كان أمل يستمع جيداً ، وبقدر كبير من التوحد الإنسانى مع الفتاة ، بينما وقفت أنظر إليها بعدوانية ، وأنا لا أمتلك هذا التعاطف الكبير الذى يحمله أمل .

فى هذه اللحظة كان أمل يمارس دور الشاعر ، عندما يلتقى بنموذجه الإنسانى وجهاً لوجه ، بل كدت أرى قصيدته **(سفر ألف دال ـ الإصحاح السادس)** رؤى العين .

كان يجلس فى هذه الزاوية

عندما مرت المرأة العارية

ودعاها ، فقالت له إنها لن تطيل القعود

فهى منذ الصباح تفتش مستشفيات الجنود

عن أخيها المحاصر فى الضفة الثانية

(عادت الأرض ـ لكنه لا يعود!)

وحكت كيف تحتمل العبء طيلة غربته القاسية

وحكت كيف تلبس ـ حين يجيىء ـ ملابسها
الضافية
وأرته له صورة بين أطفاله ـ ذات عيد ـ
وبكت !!

ظل هذا المشهد ، وتلك الزيارة الليلية زمناً فى ذاكرتى . ولعله هز الكثير من أفكارى ، فأن أكون طيبة مع الطيبين لاشىء ، إنها الأخلاق العادية للقلب العادى ، والإحساس العادى للعين العادية ، لكن أن نلتمس هذا الحس الإنسانى فى قلب السقوط ، أن تعذبنا دموع امرأة محترفة، ويمس عذابها قلوبنا، أن نتقابل وجهاً لوجه مع البؤس والألم ، هذا هو ما يحول قلوبنا إلى شعراء .

كان هذا هو قلب أمل .

ولقد تكرر هذا النموذج فى الكثير من شعره ، ففى قصيدة (فصل من قصة حب) والتى استعار اسمها من قصة لمحمد مستجاب رآه يوماً فسبه لأنه يحاول أن ينقل عالم (كافكا) داخل قصته ، معلناً أن اسم القصة خسارة فيه وفيها . وانه يستحق قصيدة ، وبالفعل كتب أمل قصيدته تحت هذا الإسم .

* * *

فى بداية علاقته بالصديق جابر عصفور ذهب يوماً لزيارته ، فرآه غارقاً وسط مجموعة من الكتب والأوراق .

ضحك وقال له : **لن تستطيع أن تصبح ناقداً جيداً بهذه الكتب والأوراق، لا بد لك من النزول إلى الشارع ، ودخول التجربة ، كى تمتلك الرؤية .**

إن الناس دائماً هم الرؤية ...

وربما لهذا ، كان رد فعله الطبيعى إثر سماعه لأى حدث سياسى أو اجتماعى أو ثقافى ، هو النزول فوراً إلى الشارع وقبل أى شىء ، حتى أن

الصديق ابراهيم منصور كان يعلق على تصرف أمل ساخراً :

ـ هل تتصور أنك ستجد الحل على قارعة الطريق ؟!

لكن الناس ظلوا دائماً هم نماذجه ، وهم وعيه الحقيقى الأول .

* * *

أسفل منزل آخر بالهرم ، كان هناك (رائع طرشي) بعد أسبوع من سكننا صار الرجل صديقاً حميماً لأمل ، يشاركه قهوة الظهيرة كل يوم فى دكانه الصغير ، ويدعوه لزيارتنا .

ـ إننى أفهم جيداً فى السياسة يا أستاذ أمل ، فأنا قارئ جيد لجريدة الأهرام .

أضحك من عبارة الرجل ، لكن أمل ينشغل حقيقة بمناقشات الرجل البسيطة ويذهب معه فى حوارات عديدة فى أدق القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية باهتمام بالغ ، دون انفعال ودون إدعاء للبساطة .

انه مرة أخرى أمام نموذجه الإنسانى ، فالشاعر مطالب لا بأن يعشق شعبه وحسب ، وإنما يعشقه شعبه أيضاً .

دخل المنزل سباك لإصلاح بعض المواسير التالفة ، كان الرجل مؤلف أغانى ومنذ اليوم الأول صار صديقاً لأمل ، يطالعه على دفاتره ومشاريعه الفنية حتى أنه فكر يوماً فى ترك أعمال السباكة ، والتفرغ تماماً لكتابة الأغنية ، أقنعه أمل بأن الأمر لا يشكل تعارضاً ، بل على العكس ، فإنه عندما يكتب جيداً يصبح سباكاً جيداً ، إن عليه دائماً أن يحب ما يفعله بصدق وإخلاص .

قالت صاحبة المنزل اليونانية فى مصر الجديدة ، لا بد من ترك الشقة غداً ، ولم نكن قد بحثنا عن منزل آخر .. فبكيت .

حجز أمل لنا غرفة فى فندق بشارع طلعت حرب ليومين إلى أن نتمكن من العثور على شقة أخرى .

وربما كان أمل يتمنـــى أن أثور أمام الانتقال المستمر من شقـــة مفروشه إلى أخرى ، ومن أثاث بال إلى أثاث بال آخر .

وكنت فى هذه النقطة بـــالتحديد أشعر بالتوتر الخانـق ، فأبدو عصبية المزاج دائماً ، أضيق من لا شىء ، لكننى لم أحّمل أمل تبعات هذه الانتقالات المستمرة ، بل على العكس ، كنت دوماً ـ رغـم توترى ـــ مؤمنة بـــأن هذا هو قدر الشـــاعر العظيم ، وهذا هو ثمن كبريائه وكرامته ونقائه المفرط .

وقد كان عدم تمكننا من العثور على شقة ، ومنزل خاص بنا يراكم فى صدر أمل الخوف علىّ ، فقد كان دائماً يتمنى أن يوفر لى حياة استقراراً وهدوءاً .

« سيد بيتنا »

الشعر هو سيد بيتنا الوحيد .

ليست هناك طقوس معينة تلازم كتابة القصيدة اللهم إلا توافر السجائر ، وهو أمر لا يتعلق بالقصيدة أو الإبداع ، وإنما يتعلق بأمل ، الذى ظلت السجائر صديقته الوحيدة حتى الموت ..

كانت رئتاه تتفتت بالخلايا السرطانية والسيجارة فى يده ، قال له الطبيب :

ـ كف عن السجائر .

ـ **قال** : إن الكف عن السجائر لن يعوق السرطان الهادر فى صدرى ، دعها فهى متعتى الأخيرة .

يكتب أمل بأى نوع من الأقلام ، وعلى أى نوع من الورق ، جالساً على مقعد أو ممدداً فوق سرير ، إنها اللحظة التى تفرض نفسها عليه فى أي مكان شاءت ، وفى أى توقيت تختار .

كان دائم الهروب من القصيدة ، أو لعله دائم التوتر والهروب بها ، مرة بالنزول إلى الشارع ، ومرة بالشجار ، ومرة بالاستماع إلى أغنية أو قراءة كتاب (يبدو هروباً ظاهرياً ، لكنه نوع من الانشغال بالقصيدة داخل أشياء أخرى) .

ان القصيدة دائماً هى لحظات مستمرة من التوتر ، بل هى كما كان يحلو له أن يردد البديل عن الإنتحار ، إن رحلته اليومية منذ الصباح حتى الصباح التالي، منذ استيقاظه ، ثم نزوله إلى الشارع واختلاطه بالناس والأحداث العادة، كانت أشبه برحلة صيد وجدانية ، رحلة صيد لقصيدة ، موضوعها رموزها ، لغتها ، مناخها العام ، حتى يمكن القول إن الناس جميعاً كانوا مشاريع قصائد لدى أمل.

أحفظ رأسى فى الخزائن الحديدية

وعندما أبدأ رحلتى النهارية

أحمل فى مكانها .. مذياعاً

(أنشر حولى البيانات الحماسية .. والصداعا)

وبعد أن أعود فى ختام جولتى المسائية

أحمل فى مكان رأسى الحقيقة

قنينة الخمر الزجاجية .

كانت القصيدة تجربة مستمرة ، حتى تفرض عليه حصارها فى لحظة معينة دون أى محاولة منه لرشوتها أو الإمساك بها .

وقد كانت لحظة كتابة القصيدة هى اللحظة التى لا يسمح أمل لأحد بدخولها سواه حتى تكتمل ، إن محاولة الدخول إلى ذهنه أو حتى السؤال عن فكرة القصيدة الجديدة كانت دائماً محاولة غير مسموح بها .

ـ أمل ، هل هى قصيدة جديدة ؟

يبتسم ، ثم يغنى ، فأفهم . أنه لا يريد الاجابة، بل ولا يريد السؤال .

ربما وضع بعض الأحرف ، أو الكلمات التى يستحيل على غيره قراءتها فوق علبة من الكبريت أو علبة من السجائر بجواره ، أو فوق ورقة صغيرة ، أو هامش لجريدة ، ولم أكن أستطيع فك هذه الطلاسم ، واللوغاريتمات والتى كانت تأخذ أحياناً شكل الرموز التى ستكون فيما بعد قصيدة .

أسميته (شوبنهور) فهو الفيلسوف الوحيد الذى كان يمارس هذا الحصار النفسى ، بكتابة حساباته المالية باللاتينية حتى لا يعرفها من حوله .

ولعل المرة الوحيدة التى فتح فيها أمل ذهنه وكشف لى عن مشروع قصيدة كان يفكر فيها قبل أن تكتمل ، كانت قصيدة (الأحجار) وهى قصيدة لم تكتب نهائياً ، ولعله رحل وهو يكتبها ، تاركاً مسودة مشوشة الأحرف .

تكلمى أيتها الأحجار .

إدلى بما فى قلبك الصامت من أسرار
وحـــدك أنت الأزل
لا يسدل النسيان فوقها ستائره
ولا يصدها افتراق الليل والنهار

كانت فكرة القصيدة ـ كما ذكر لى ـ أشبه بحوارية متتالية بين أكباش معبد الكرنك ، إنها الأحجار حين تصبح حضارة ، وهى عودة أخرى إلى الجنوب بعد مركب رع فى قصيدة (السرير) .. وبعد قصيدة (الجنوبي) .

وهـــى عودة لا تبحـث عن استخـدامات للتراث الفـرعونـــى ، ولكنها عـودة وجدانية إلى أرض الصعيد ، وجنوب مصر لتكون النهاية .

لم أحـــاول يومـــاً سؤالـــه فى القصيدة قبـل اكتمالها ، أو حتى الإلحاح عليـه بالكتابـة ـ رغم كسله ـــ إن أقصى ما أفعله فى هــذه المنطقة عندما يســألنى عن أمنياتى ، فأجيب : قصيدة جديدة .

ولم تكن هــذه أمنيتى وحـدى ، إنها أمنية وحلـم وطموح أمـل الوحيـد ، إن القصيدة هى الغد والمستقبل الذى نحلم بتحقيقه .

كنت شديدة الحرص على عدم الدخـول نهائياً فى منطقة الإبداع ، تلك المنطقة الخاصة بأمل وحده ، بل كنت أحياناً أشعر بالخوف والإرتباك ، فما الذى أفعله وفى بيتنا قصيـدة توشك على المجىء ، فـأنام خوفـاً من أن يأخذ صمتــى شكل المراقبة ، أو الإنتظار العصبى للقصيدة .

يوقظنى أمل : هل تحبين أن تستمعى إلى قصيدة ؟

فأعانقه هاتفة : **أيها الشــــعر**
يا أيها الفرح المختلس

لم تكن لحظة ميلاد القصيدة هى الصورة النهائية ، أو الإبداع الأخير ولكن كانت إعادة النظر فى القصيدة تشكل عند أمل أهمية كبرى ، حيث تخرج من ثوب لحظة الميلاد العفوية بشكلها المثالى إلى درجة كبيرة من الوعى ، يشكل به ملامح القصيدة بصورة نهائية .

اهتم اهتماماً خاصاً بالبناء الهندسى والمعمارى للقصيدة ، ولهذا كانت لحظة المونتاج الشعرى ، أو القراءة الثانية لا تقل أهمية عن لحظة انفجار القصيدة فى كتابتها الأولى ، ولم يكن ذلك المونتاج يعنى مسودة مكتوبة ، بل أحياناً كان يتبلور فى صورة ذهنية يصعب تحديد طبيعتها .

ولم تكن لأمل لحظة تجل مع الكلمات ، يؤمن بثبات تجليها ، فالشاعر الذى يتجلى مع كلماته ، يترك نفسه مع موسيقى اللغة ، بينما اللغة إناء للأفكار وأداة للتوصيل ، دون سحر خاص بها كمفرده ، ولكن بما تكتسبه من السياق.

وقد عكس أمل تعلقه الشديد باللغة العربية من خلال مشروع ظل يفكر فيه كثيراً ، بل واستعان فى دراسته بدكتور فى اللغة العبرية ، وآخر فى اللغة الفارسية، وثالث فى اللغة الحبشية ، وهو إرجاع المفردة العربية إلى أصلها الثنائى .

إن (ثنائية المفردة) كانت فى رأيه ثورة حقيقية ، يمكن أن تتحقق فى اللغة حيث تتقارب عوائل المفردات .

وقد وضع جداول عديدة لتلك العوائل من المفردات ، إلا أنه ترك المشروع بعد ذلك جانباً ، ولم يفكر فيه على الأقل بصورة ظاهرية تسمح لى بكتابة إلى أين انتهى أو كيف توقف .

...

كانت اعادة قراءة القصيدة مجهوداً نقدياً ، بل كانت أكثر أنواع النقد قيمة وحيوية لأمل ، ولم يكن يزعجه أن يشاركه أحد قلقه فى وضع كلمة بالقصيدة بعد اكتمالها أو تغير كلمة محل أخرى ، بل إن بعض المناقشات الجيدة كانت تدفعه أحياناً لتعديلات داخل القصيدة .

كانت لوحات قصيدة (الجنوبي) فى صورتها الأخيرة مرتبة بالأرقام (١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ) .

قال جابر عصفور : **الأرقام هكذا ليست جميلة .**

أمسك أمل على الفور بالقلم وشطب الأرقام ، واستبدلها بترتيب آخر هو الترتيب النهائى للقصيدة **(صورة ـ وجه ـ وجه ـ وجه ـ مرآه)** .

والشىء الغريب حقاً ، بل والمحير ، أن هذا التعديل لم يستغرق ثوانى دون تفكير طويل ، والأغرب انه جاء فى تلقائيته العفوية ، ترتيباً شديد الدقة والإحكام.

ذهبنا يوماً إلى د/ لويس عوض فى مكتبه بجريدة الأهرام ، أطلعه أمل على قصيدته الجديدة **(خطاب غير تاريخى على قبر صلاح الدين)** .

كان مكتب لويس عوض حافلاً بالعديد من الكتاب والفنانين والصحفيين ، فأمسك الدكتور بالقصيدة وراح يقرؤها بصوت مرتفع .

هتف أحد الحاضرين بعد نهايتها : **آمين** .

قام أمل وأمسك بالقلم على الفور ، وأضاف على مكتب لويس عوض فى نهاية القصيدة :

فاتحـــــه :

آمـــــين .

قرأ الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى قصيدة (الطيور) .. قال لأمل أن سطورها الأخيرة تحصيل حاصل للقصيدة ، يمكن الاستغناء عنها .

الجنـــاح حيـــاة

والجنـــاح ردى

والجنـــاح .. نجـاه
والجنـــاح .. سـدى !

رأى أمل انها ضرورية للقصيدة ، ورفض تعديلها

ولقد كانت قصيـدة (الخيول) واحدة من أصعب القصائد التـى عذبت أمل كثيراً فى بنائها الهندســى ، أو فى إعادة قراءاتها أو كتابتها مرة أخـرى ، بل هى قصيدة المسودات العديدة ، حتى أن أمـل شطب من إحدى مسوداتها الصفحة كاملة ، واحتفظ فيها بسطر واحد فقط .

كتبهـا فى ديسمبر ١٩٨١ ، ثم انتهـى منها تمامـاً فى ينايـر ١٩٨٣ ، عندمـا نشرت للمرة الأولى فى مجلـة ابداع الصادرة عن الهيئـة العامة للكتاب فى عـددها الأول .

ولعل المرض كان سببا فى ذلك التأخير الطويل للقصيدة ، وربما كان السبب أيضاً فى مسوداتها الكثيرة المرهقة (تـذكرى دائماً أننى أعمل بربـع عقل) ، كان يردد أمل لى ذلك فى لحظات الإرهاق الشديد .

ولعل المرض كـان سبباً فى الـدخول إلى منطقـة وجدانيـة أخرى ، وتجربـة جمالية جديدة غير التجربة الجمالية المشكلة فى قصيدته (الطيور ـ الخيول) .

تلـك التجربـة التـى أسماها (إعـادة اكتشــاف الجمال فى نفس الإنســان ، واستعادة الإنسان المصرى ، ليحيا من جديد) .

ففى ظل ظروف السبعينيات ، والتى صـار الإنسان فيها متهماً ، لأنه إذا دعا الشــاعـر الناس إلى الثـورة والتغيير ، أتهم أنـه يـريـد أن يعيدهـم إلى الفقـر والاشتراكية ، وإذا دعا الناس إلى رفض السلام المصطنع ، فذلك يعنى دعوة إلى التضحية مـن أجل الحرب والموت بـل وإذا دعا الشــاعر النـاس إلى أن تصبح حياتهم أكثر جمالاً ويسراً ، فذلك يعنى الهجرة وليس الإقامة فى الوطن .

من أجل هذا حدد أمل دوره وملامح تجربته الجديدة فى إعادة اكتشاف الجمال ، وتوجيه الناس إليه ، حيث رأى أن الشاعر مطالب بدورين فى ذلك الوقت الراهن .

دور فنى بأن يكون شاعراً ، ودور وطنى بأن يوظف فنه لخدمة القضية الوطنية ، وخدمة التقدم ، لا عن طريق الشعارات السياسية والصراخ والصياح وإنما عن طريق اكتشاف وكشف تراث هذه الأمة ، وإيقاظ إحساسها بالانتماء وتعميق أواصر الوحدة بين أقطارها .

على الشاعر أن يلعب دور الشاعر والمفكر أيضاً ، وأن يستنهض كل الذين يرون مهمة الشاعر مهمة مثالية هى كتابة الشعر فقط ، فالشاعر لكى يكتب ولكى يكون شاعراً حراً ، يجب أن يكتب انعكاسات وجدانه ، ولا يمكن لإنسان أن يعيش فى ظل ظروف التخلف التى نعيش فيها ، وظروف التداخل الثقافى التى لدينا أن يكتفى بمجرد الإحساس بالجمال المطلق ، فلابد أن يعيد اكتشاف الجمال الموجود فى الواقع الذى يراه ، والذى يعيشه .

ومثلما كانت قصيدة (الخيول) ـ قصيدة معذبة ، كان ديوان (أقوال جديدة عن حرب البسوس) أكثر تعذيباً ، ولهذا رحل أمل دون استكماله بعد أن كتب شهادتين أو قصيدتين فقط هما (مقتل كليب الوصايا العشر ـــ وأقوال اليمامة ومراثيها) بينما بقيت الشهادات (القصائد) الأخرى التى أراد أمل كتابتها (أقوال المهلهل، أقوال الجليلة ، أقوال جساس) تتبدل وتتغير يوماً بعد آخر ، رافضة الوصول إلى حل يقنع أمل باكتمالها الأخير على الرغم من اكتمال أجزاء كثيرة منها فى ذاكرته .

يقرأ كل ما كتب عن سيرة الزير سالم ، وكل الدراسات والإبداعات المختلفة التى تناولتها ، يقرأ كل السير الشعبية العربية ، وكل الأساطير وأيام العرب

القديمة ، يقرأ كتب الأنثربولوجيا ، ويظل يبحث ويواصل البحث سنوات عديدة كجزء من الخبرة الجمالية للقصيدة ، ولا تستقر الرؤية .

* * *

كان أهم شاعر فى نظره النار .

عندما كان صغيراً ، كان يجلس أمام النار ويقرأ فى ألسنة اللهب ، ودرجات الاحتراق فيها أكثر من معنى من المعانى المطلقة ، ولعله أحب بذلك الشعر والشعراء النار .

فى كل يوم كان لنا موعد مع ديوان شعرى أو قصيدة ، سواء لشعراء مشهورين ، أو غير معروفين ، قدماء أو محدثين ، شعراء فصحى أو شعراء عامية .

كانت صورة حجازى وهو يلقى بقصيدته مزهواً بها ، تكاد قدماه تقفزان من فوق المسرح منطلقة مع الكلمات فى حب شديد ، وكبرياء بالشعر ، لا تفارق ذهن أمل ، إن حجازى ليس فقط أول من أشار إلى أمل بالتخلى عن قصائد المناسبات والمظاهر الاجتماعية ، التى كان يمارس أمل انتقادها بالقصيدة (الزار ـ الموالد ـ الدراويش) إلى قضايا الشعر الحديث ، لكنه أيضاً ظل دائماً الفارس ، والمغنى ، والمخلص للشعر والقصيدة ، وبرغم ذلك كان أمل دائم الترديد ، ودائم الكتابة على كل ورقة بيضاء أمامه قصيدة حجازى :

قد كنت فارساً شجاعاً ذات يوم

لكنى أكلت من طعام أعدائى فصرت مقعداً

وكنت شاعراً حكيماً ذات يوم

حتى إذا استطعت أن أحمل اللفظين معنى واحداً

فقدت حكمتى وضاع الشعر منى بدداً

كان حجازى هو الشاعر الوحيد ، بل هو الإنسان الوحيد الذى سأله أمل يوماً فى تمن :

ـ لماذا لم تكتب عنى ؟

وكتب حجازى كثيراً عن أمل ، لكن بعد وفاته !!

كانت أشعار الشعراء تسكن صوت أمل دائماً ، فى المنزل ، فى الشارع فى أمسيات وسهرات الأصدقاء ، ولكنه لم يكن يحب أبداً قراءة أشعاره هو ، حتى لنفسه ، فلم يكن يحب عادة أن يلعب دور المطرب فى سهرات الأصدقاء ، فيرفض إلقاء قصيدة له ، حتى ولو طلب منه أحد ذلك بالتحديد ، بل وإذا فرض وأنشد قصيدة من شعره ، فلابد أن ينهيها بتعليق ساخر ، مبعداً الحوار بذلك عن القصيدة والشعر .

كان الغناء أيضاً يسكن بيتنا .

أمل برغم صوته الأجش ، كان قادراً على الأداء ، والإحساس بالجملة الموسيقية ، والغوص فى أعماق الكلمة ، فيجبرنا على الاستماع مشدودين إلى مناطق الجمال .

ـ أننى لا أسمعك تغنين ؟

ـ إن صوتى ليس جميلاً !

ـ عندما تغنين يصبح صوتك جميلاً !

من بعدها صرت أغنى معه .

ينطلق أمل بالغناء ، فيغلق البعض آذانهم ، ويضحك آخرون، بينما هو مستمر فى أداء الأغنية كاملة ، حتى يتحول الجالسون إلى الغناء معه ، بل و إلى الصمت والإستماع إعجاباً بالأغنية التى يتغنى بها أمل .

لقد شكلت الأغنية جزءاً هاماً فى وجدان الشاعر ، حتى وصلت إلى دمه ، فكان موعد العلاج ـ فيما بعد ـ موعداً دائماً مع الأغنية .

دعى أمل للمشاركة فى الذكرى الرابعة لرحيل الشاعر محمود حسن

إسماعيل (١٩٨٠) ، وهو الذى حمل له إعجاباً خاصاً ، وتأثراً كبيراً به كشاعر، حتى أنه فى طفولتــه كان حريصاً على تجميع صوره المنشــورة وقتذاك فى مجلة الإذاعة المصرية ، والإحتفاظ بها ، كما أن أول شىء حرص عليه أمل عند مجيئه الأول إلى القاهــرة هو الذهاب إلى منطقــة أرض الجزيرة لمشاهدة تلــك البقعة ، وهذه الأرض ، وذلــك النخيل الــذى كتب عنــه محمود حســــن إسماعــيل فى قصـــائده .

جاء يــوم الذكــرى ولم يكتب أمــل بعد قصيدة جــديدة ــ كما كان يــريد ــ استيقظ مبكراً على غير العادة ، وارتدى ملابسه ، وقرر النزول إلى الشارع .

فوجئت بالقصيدة فى المهرجان ، وأنا شديدة الفرح ، فقد جاءت بعد أكثر من عام ونصف من الصمــت الشعرى ، خلت فيها ـ مثل بعض الأصــدقاء ـ أن هذا الصمت مرتبط بالزواج .

لكن للصمت دورات فى تاريخ أمل .

مرة امتد ما يقــرب من ٤ سنوات متواصلة فى بداية الستينــات ، أثناء إقامته بالاسكنــدرية ، ولعلــه كان صمتاً متعمــداً ، حيث حــرص أمل فيــه على تكثيف قراءته ، ثم خــرج بعدها بديوان (البكاء بين يدى زرقــاء اليمامة) الذى صدرت طبعته الأولى ١٩٦٩ عن دار الآداب ، لتعلن ميلاد شاعر حقيقى .

امتد الصمت الشعرى سنة (١٩٧٩ ـ ١٩٨٠) ثم كتب أيدوم النهر ، ثم دام الصمت شهوراً قليلة ، وكتب قصيدة محمود حسن إسماعيل .

صمت آخــر بعدهــا ، اقترب من ثمانيــة أشهر (١٩٨١) ثــم كانــت قصيدة (الطيور) ثم (الخيول) بعدها بشهرين .

كان كــل صمت يتبعه بالضرورة تجربــة جمالية جديدة ، ورؤيــة مختلفة ، ولهذا لم يكــن أمل يخاف الصمــت ، كان الصمت جزءاً لا ينفصل مــن التجربة الجمالية .

رفضت جريدة الأهرام (بعد أن أخذ الشاعر فاروق جويدة القصيدة من أمل لنشرها) نشر القصيدة رغم محاولات فاروق جويدة .

أذيعت القصيدة ضمن إذاعة المهرجان فى برنامج الأمسية الثقافية الذى يقدمه الشاعر فاروق شوشه بالتليفزيون ، وكانت هى المرة الأولى التى يقدم فيها شعر أمل بالتليفزيون المصرى (قدمه فاروق شوشه بعد ذلك مرتين فى نفس البرنامج) .

عند إذاعة القصيدة اقتطعوا منها أجزاء اعتبرتها الرقابة التليفزيونية ضد السياسة العامة .

للخفافيش أسماؤها التى تتسمى بها

فلمن تتسمى إذا انتسب النور !

والنور لا ينتمى الآن للشمس

فالشمس هالاتها تتحلق فوق العقالات

هل طلع البدر من يثرب أم من الأحمدى

وبانت سعاد

تراها تبين من البردة النبوية

أم من قلنسوة الكاهنين الخزر ؟

وبرغم فرح أمل بظهوره الأول فى التليفزيون المصرى ، إلا أن كاميرات التليفزيون وأقلام الصحفيين ، والشهرة الإعلامية عموماً لم تكن مقصداً أو هدفاً يحلم بها أمل ، أو يسعى إليها ، فالمشهورة الوحيدة هى القصيدة ، والهدف الوحيد هو كتابة الشعر .

لم يحترف الشهرة ، والإدعاءات الكاذبة ، والأخبار التى يمليها الكثيرون إلى الصحف والمجلات ، بل وقف ضد أصدقاءه الشعراء الذين كانوا يسعون وراء

بريق الشهرة أكثر من سعيهم وراء نار المعرفة .

إن كل نجومية لا تمر من خلال القصيدة هى نجومية هزيلة ، تأخذ من الشاعر أكثر مما تعطى له ، ولهذا لم يكن موقف أجهزة الإعلام يغضبه ، أو حتى يثير لديه أدنى مشاعر الضيق قدر ما كان يزيده إحتراماً لذاته ، وتعالياً على الآخرين .

عندما كتب قصيدته الشهيرة (الكعكة الحجرية) تحولت فور كتابتها ١٩٧٢ ، إلى منفستو للحركة الطلابية فى ذلك الوقت ، وأدى نشرها الأول فى مجلة سنابل التى كان يصدرها الشاعر عفيفى مطر فى محافظة كفر الشيخ إلى إغلاق المجلة .

أيها الواقفون على حافة المذبحة
أشهروا الأسلحة
سقط الموت ، وانفرط القلب كالمسبحة
والدم انساب فوق الوشاح
المنازل أضرحة
والزنازن أضرحة
والمدى أضرحة
فارفعوا الأسلحة
واتبعونى
أنا ندم الغد والبارحة
رايتى عظمتان وجمجمة
وشعارى : الصباح

راح مكتب وزير الإعلام يسأل رئيس الإذاعة ، **من هو أمل دنقل ؟**

وسأل رئيس الإذاعة ، مدير البرنامج الثانى فى ذلك الوقت فؤاد كامل الذى

قدم فى برامج إذاعته الكثير من أشعار أمل **(من هو أمل دنقل؟)** ، فرد عليه إنه شاعر ممتاز ونحن نذيع أشعاره .

رد رئيس الإذاعة : **لا تردد ذلك ثانية !!**

...

لقد أصبح أمل أهم شاعر مصرى ، بل واحداً من أكثر الشعراء العرب تميزاً من خلال صوته الشعرى وحده ، وأصبح رغم كل التعتيمات الإعلامية حوله هو الأعلى صوتاً ، والأكثر تميزاً ، وحضوراً .



« جمهورية الصعيد »

زرت مع أمل قريته (القلعة) فى جنوب الصعيد .

كان مدخل القريـة فى الصباح الباكر من نافذة القطار مـدخلاً بديعاً ، أشار أمل إلى شواهـد القبور على جانبى الطريق ، وبـالفعل كانت جزءاً مـن التكوين الجمالى فى تلك البيئة الصعيدية التى أراها للمرة الأولى .

توقـف القطار فى محطـة (قفط) أحـد مراكـز محافظة قنـا ، وهى الامتـداد الطبيعى لقرية القلعة .

استأجر أمل عـربة (حنطور) لنصل إلى المنزل ، وقام بإنـزال كبوت العربة بصورة أكثر إنحناء ، حتى لا يرانا المارون ويتطلعوا فى وجهى .

أندهش متعجبة ، فلماذا هذا المسلك الصعيدى جداً ؟

يرد أمل فى صرامة : **نحن هنـا فى أقصى الجنوب ، والمرأة لـديهم ليست سوى (حريم) ، فلابد من تقبل منطقهم .**

ضحكت بشدة فى داخلى من رسم صورتى داخل إطار الحريم .

دعانا عمدة القرية وهو (زوج عمة أمل) ، فى اليوم التالى لوصولنا إلى الغداء، قال أمل : **لابد أن تذهبى مرتدية «الملس» الأسود كاى إمراة صعيدية .**

تعجبـت مرة أخـرى من هـذا الموقف الصعيـدى جداً ، لشـاعر خـرج على الشرعية والقوانين وكاسر لكل التقاليد والعرف العام .

ضحكت من مجرد الفكرة وقلت : **مستحيل .**

ذهبنا إلى منـزل العمدة وأنا أرتدى بنطلـوناً وبلوزة طويلـة ، أصر أمل على ذهابنا فى سيارة ، رغم أن منزل العمدة فى نفـس الشارع ، لا يبعد عن منزل أمل

بأكثر من ١٠٠ متر ، بل وأصر أيضاً على العودة بمفرده فور تناول الغداء متعللاً برغبته فى النوم ، على أن يعود فى المساء إلىّ لأخذى (وكان يعنى ذلك رغبته فى عودتى بالمساء حتى لا يرانى أحد) .

بعد ساعة من ذهابه عدت مع ابن عمته إلى المنزل فى وضح النهار ، بل قام هو وغفراء القرية بفتح (دوار) البلدة ، لى لمشاهدته .

لم يستهجن أحد ملابسى على الإطلاق ، فقد كان الصعيد فى خيالاتنا مختلفاً عن واقعه الجديد الذى غزاه التليفزيون الملون والفيديو ، وتعليم الفتيات والأسفار الدائمة ، فبدا أكثر تطوراً من خيالاتنا عنه .

كما أن والدة أمل رفضت تحفظاته الكثيرة ، مؤكدة له أن الجميع يعلم أن عبلة قاهرية فلن يطالبها أحد بعرفنا القائم .

أما أمل فقد كان حريصاً منذ اللحظة الأولى لوصوله على ارتداء الجلباب الصعيدى ذى الأكمام الفضفاضة ، ولبس اللاسة أو العمامة فوق رأسه ، والإمساك بالعصا ـ عند السير.

كان يفعل ذلك وهو سعيد ، كمن عاد إلى حقيقته الأولى مستريحاً هادئ البال ، منسجماً مع ذاته .

كانت ملابسه وكلماته وفخره الحاد بروحه الصعيدية ، تجعلنى استعيد مزاحه الدائم كلما رأى صعيدياً فى القاهرة :

ـ لا بد لنا من الاستقلال عن الشمال ، وتكوين (جمهورية الصعايدة) .

يبدو أن الأمر ليس مزاحاً ، أن الصعيد هو عنده أول الكون ومنتهاه .

. . .

كان كمن يحاول استعادة إطار صورة قديمة كسره عن عمد ، لكن الشيء الغريب حقاً والذى أدهشنى ، هو سرعته فى كسر الإطار بنفس اللحظة ، فرغم كل التحفظات الصعيدية التى ملأته فى البداية بخصوصى ، فلم يستهجن لحظة إشعالى السجائر أمام كل رجال الصعيد ، وأقربائه كباراً وصغاراً ، بل ويقوم

بـإشعالها لى ، وهـو الشـىء الذى لا يستطيـع أن يفعله بعـض الـرجال أمـام أقربائهم الأكبر سناً ، داخل قانون الصعيد .

...

جاءت القـرية جميعهـا لتحياتنـا ، وتحول المنزل بـل وتحولت القـرية إلى مهرجان لاستقبال أمل وعروسه ، وصار ذلك حدثاً يقدمون من أجله الهدايا .

كانت الزيارات لا تنتهى ، من الخامسة مساء وحتى الحادية عشرة أو الثانية عشرة وسط مجموعة من النساء داخل غرفة واحدة .

ـ أمل إنهم يتفرجون على .

ـ أبداً إنهم فرحون بك

وكنت أضيق أحيانـاً بالصمت الذى أمارسه ويمارسونه معـى ، فيأتى أمل مقتحماً غرفـة الحريم ، ويجلس معنا ، فتتحـول الغرفة إلى ضحـك ، وضجيج وحيوية ، ويتواصل الجميع ، ويعود العالم كله طبيعياً به .

كان أمـل سعيداً بـوجودى وسـط أهله وأقـاربه ، ربما أكثـر من سعـادته بوجوده هو ، ربما هى المرة الأولى التى يشعر بها بفرحة وجود عائلة (زوجة وأم وأخوات) ... عائلة سعيدة هى حديث القرية كلها .

إنه الفرح الذى لم يمر ببابه يوماً ، حتـى إنه تمنى لو امتد به الزمن هناك أو توقف عند هذه اللحظات وفى هذا المكان .

يطوف بى غرف المنزل ، يفتح لى صناديـق كتبه القديمة ، وصور وذكريات الطفولة ، يقرأ لى أشعار والده العمودية القديمة ، يحاول دائماً كسر الغربة بينى وبين والدته .

إن أمه هى أقوى العلاقات فى حياتـه «رغم الابتعاد المكانى الذى فصله دائماً عن رؤيتها» .. فمنذ أن تـوفى والده وهو طفل فى العاشرة ، كانـت هى دائما القوة والصلابة والحمايـة ، بل هى الحب والحنان والاطمئنان الـدائم ، فهى المدافعة

عنه ظالماً أو مظلوماً ، لقد ظلت تلعب دور الحامى ، وتمثل العفو والصدر الحنون المدافع عن أخطائه وتبريرها، كانت الوحيدة التى عاملته كطفل ، حينما فرض عليه الجميع صورة الرجل الصغير ، بل إن صلابته من صلابتها (ربما أحمس ربته امرأة) ، فعندما كانت تأتى لزيارته فترة الإقامة بالمستشفى كان يسألها :

- هل أنت حزينة على ما أصاب ابنك ؟

تحاول اخفاء دموعها .. لكنها تبكى .

يكرر السؤال ، فتجيبه بقوة : **الله لا يجيب حزن** .

كان الجميع يعاملنى كضيفة ، فرحين بى بأصالة وفرحة صعيدية صميمة، بل كنت أشعر أن أمل أيضاً يعاملنى أكثر كضيفة ، حريص دائماً على راحتى وكسر كل لحظات الملل التى قد تمر بى ، ولعلى أنا التى كنت فى قرارة ذاتى ضيفة حتى انه وضع لى برنامجاً سياحياً لزيارة الأقصر ، ومعبد دندره فى قنا.

- **أمل يبدو أنى سائحة ؟**

- **يبدو ؟ بالتأكيد أنت سائحة .**

لم يكن الصعيد بالنسبة لى شيئاً أعرفه على المستوى الواقعى أو الجغرافى أو حتى الإنسانى معرفة جيدة ، لكنه بذات الوقت كان أكثر من حدود المعرفة كان فى وجدانى التصاقاً ، فقد كان يعنى لدى دائماً : أمل دنقل .

« جيل الثمارات وجيل الهزائم »

فى صيف ١٩٨١ (١٥ أغسطس) دعـانا الشاعر أحمد عبـد المعطى حجازى فى زيارتـه الصيفية للقاهرة . إلى عيـد ميلاد ابنته (ذكرت لى فيما بعـد السيدة زوجته سهير عبد الفتاح أنها ترددت أمام دعوة أمل بالتحديد تخوفاً مما تعرفه عن حدته فى المناقشة خاصة ، وأن المدعـو معنا هو الشاعر صلاح عبد الصبور وزوجته وابنتيه) .

ولم تكـن سهير تعرف أمـل جيـداً حتى تـدرك أنـه لا يمارس حـدته أمـام الحقيقيين من البشر ، وأنها فى كثير من الأحيـان تبدو قناعاً صلبـاً يخفى وراءه قلبه المرهف .

فى هذه الليلـة كان أمـل فى غايـة الرقة والعـذوبة ، بـل وشديـد الفرح بهذه السهرة التى تضمه مع شاعرين كبيرين (صلاح عبد الصبور ـ حجازي) .

سأل أمـل صلاح عبد الصبـور عما ينشر فى الصحف حول إعـداده لأمسية شعرية عـن ابن الفارض فنفى ذلـك قائلا إنها مجرد أخبار صحفية .. ثـم قاد الحديـث حول الأمسيـات الشعريـة التى تقـدم إلى استفسار آخـر حول تلـك المساجلات بين صـلاح والموسيقار محمد عبد الوهاب الـذى أراد أن يغنى لحناً لإحدى قصائده .

فـاختصر صلاح عبـدالصبور الكـلام قـائلاً إن هذه الأخبـار هـى ضريبـة الشهرة الإجتماعيـة التى هبطت عليـه فى السنوات الأخيرة ، لأنه صـار مسئولاً ثقافياً ، ورئيس الهيئـة العامة للكتاب ، وهكذا تحول من شـاعر كبير إلى شـاعر نجم .

سأله أمل إن كان يضيق داخلياً بمثل هـذه الضريبة فأجابه : طبعاً لكن على من تقرأ مزاميرك (ولم يقل يا داوود) .

طلب صلاح عبد الصبور من أمل أن يسمعه قصيدته الشهيرة (لا تصالح) رفض أمل أن ينشد القصيدة معتذراً بأنه في حضرة شاعرين مثلهما لا يستطيع نفسياً إلقاء شعره ثم راح ينشد قصيدة صلاح عبد الصبور (أحلام الفارس القديم) .

دارت المناقشة دورتها بين الحاضرين ومنهم (جابر عصفور - بهجت عثمان الرسام في دار الهلال ، والذي كان صلاح بنفسه هو الذي دعاه إلى السهرة) حتى فوجئنا بصوت بهجت عثمان يعلو في لحظة سكر واضحة .. (أنت بعت .. وبعت بمليم يا صلاح !)

ثار صلاح وهب واقفاً معلناً . ما الذي حصل عليه ليتهم بالخيانة والبيع ؟ ثم ما الذي باعه بالتحديد ؟

وثارت معه السيدة زوجته (سميحة غالب) معلنة ترددهم في حضور مثل هذه السهرة وما توقعته من الجلوس مع السوقة !!

طرد حجازي بهجت من منزله ، وحاول الجميع تهدئة صلاح عبدالصبور الذي شعر بالتعب والإجهاد .

(خاصة وأنه طوال اليوم كان خارج المنزل في عمل مستمر ، ثم صعد إلى منزل حجازي بالطابق الخامس دون مصعد) .

وقرر النزول لشم بعض الهواء وتهدئة أعصابه قليلاً واشتد عليه التعب في الطريق ، فذهب إلى مستشفى هيلوبوليس المجاورة لمنزل حجازي حيث كانت الوفاة على الفور .

...

بكى أمل صلاح عبدالصبور كأنه فقد أباه ، لكنه لم يستطع أن يكتب حرفاً واحداً خلال مشاركات الإحتفال بالذكرى ، ذاكراً فيما بعد - أن موته كان هو

رصاصة الرحمة أو لعله هو حياته التي كشفت في لحظة عن جوهرها الحقيقي.. فرغم مأساوية أحداث تلك الليلة الغريبة شكّل موت صلاح عبد الصبور ـ نوعاً من الانتصـار للشعر وللحقيقة داخل نفسية شـاعر وصلت في شفـافيتها إلى درجة عالية من الصوفية ، وكأنه صار بذلك حلاج الكلمة ، وحلاج الموت .

...

استغل بعض الكتاب السهرة للهجوم على اليسار ومحاولة حصار المدعوين في تلك الليلة وإتهامهم بقتل صلاح عبد الصبور .. بل وصل الأمر إلى حد سؤال السادات لحجازي عن مقتل صلاح عبد الصبور .. وكان ذلك استغلالاً رخيصاً للرجل وللموقف وللشعر والشعراء .

بدأ أمـل قصيدة إلى صلاح عبـد الصبور لكنه لم يستطـع استكمالها وظلت كما هي سطراً واحداً ..

تـرى هـل نقلـب في سلـة الفـاكهـة

لنـرى كيـف دب إليهـا العطـن ؟

...

كتب بعد ذلـك قصيدة الطيور (اكتوبر ١٩٨١) ذاكـراً أنها مهداة إلى صلاح عبد الصبور ثم عاد بعد ذلك ونحّى هـذا الإهداء جانباً .. وترك القصيدة للعديد من التفسيرات

والطيور التي أقعدتها مخالطة الناس

سرت طمأنينة العيش فوق مناشرها

فانتخـــت

وباعينها فارتخت

وارتضت أن تقاقئ حول الطعام المتاح

ما الذي يتبقى لها .. غير سكينة الذبح

غير انتظار النهاية

إن اليد الآدمية .. واهبة القمح
تعرف كيف تسن السلاح .

رأى د/ جابر عصفور أن القصيدة تعبر عن أحداث ٦ سبتمبر (١٩٨١) الشهيرة والتي انتهت بقيام السادات باعتقال أكثر من ١٥٠٠ مواطن مصري من كافة الانتماءات السياسية ، وطرده للكثيرين من أعمالهم ووظائفهم ، والتى انتهت أيضاً بفصل د / عبد المحسن بدر ود / جابر عصفور من الجامعة .

كانت قصيدة الطيور في رأيه هي قصيدة فراره إلى السويد أستاذاً في جامعاتها .

رفرف
فليس أمامك ـ والبشر المستبيحون والمستباحون :
صاحون
ليس أمامك غير الفرار
الفرار الذي يتجدد كل صباح

...

فسر صديق آخر ـ أستاذاً للفلسفة ـ القصيدة تفسيراً غريباً ، أعجب أمل بمنطقة الفلسفي والذي راح صاحبه ليلة طويلة يحكي فيه عن (المرأة الطائر) و(المرأة الضفدعة) وكنت أغضب أمام هذا التفسير مرددة : **هل تظن أنني المرأة الضفدعة أقاقئ حول الطعام المتاح ؟**

يضحك أمل بشدة مندهشاً :

ـ كيف تحملين سوء النية معي ؟

في معرض حديث أمل عن صلاح عبد الصبور وحجازي كان يؤكد دائماً أنه لا ينتمي فكرياً وثقافياً إلى جيلهما ـ هذا برغم تأثره طويلاً بحجازي ـ فجيلهما هو جيل الإنتصارات ، الإنتصارات على المستوى الوطني والمستوى القومى ، بينما أمل كان ينتمي إلى جيل الهزائم الجيل الذي بدأ احتكاكه الفعلي مع الواقع

بمشاهدة المفكرين والمثقفين والشعراء في المعتقلات عام ١٩٥٩ ، وبداية إنهيار المد الوطني في ذلك الوقت بالانفصال المصري السوري ١٩٦١ .

كما أن جيل صلاح وحجازي هو جيل الشعارات التي لم تطبق فهو جيل نما مع الاشتراكية التي لم تكن قد طبقت في ذلك الوقت ـ جيل العداء للاستعمار بشكله التقليدي . لكن جيل أمل نشأ وقد بدأت الاشتراكية العربية تطبق وبدأت آثارها السلبية تظهر في المجتمع .. انه جيل الاشتراكية بلا اشتراكيين .

في ١٩٧٦ في فندق وندسور أخرج أمل قصيدة من جيبه كان قد انتهى من كتابتها (خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين) وراح يقرؤها لي .

أعجبتني القصيدة فنياً على الرغم من رفضي لمنطق هجومها على عبدالناصر والذي شكل بالنسبة لي إنتماء فكرياً ووجدانياً .

قلت له :

ـ لا أستطيع أن أعجب بقصيدة تدين عبد الناصر .

قال :

إنني لا أكره عبد الناصر ، ولكن في تقديري دائماً أن المناخ الذي يعتقل كاتباً ومفكراً لا يصح أن أنتمي إليه أوْ أدافع عنه .. إن قضيتي ليست عبد الناصر حتى ولو أحببته ولكن قضيتي دائماً هي الحرية .

* * *

* كان السرطان يأخذ من جسده الناحل فتزداد روحه تألقاً وجبروتاً حتى كان باستطاعة زواره وعائديه أن يروا صراعه مع الموت رأى العين.. صراع بين متكافئين ، الموت والشعر . وفي اللحظة التي وقع فيها الجسد بكامله بين مخالب الوحش خرج أمل دنقل من الصراع منتصراً .. لقد أصبح صوتاً محضاً، صوتاً عظيماً سوف يتردد أصفى وأنقى من أي وقت مضى .

(أحمد عبد المعطي حجازي)

« مأساة السمك النادر »

مأساة أمل ببساطة أنه ظل قادراً على حمل البحر ، بينما البحر لم يستطع أن يحمله .. أجمل سمكة نادرة في مياهه .

ظل دائماً يبحث عن التوازن الصعب داخل هذا العالم المتواتر والمرفوض حوله ، وداخل هذا التناثر الحاد في كيانه حتى انفجر كل شيء .. وتمدد السرطان ..

كبر سمك القرش ملتهماً السمكة النادرة .

أتساءل : لماذا يكون موت الشاعر انفجاراً سرطانياً مدوياً ..؟ لماذا يتبدد خلية خلية شاهداً موته لحظة بلحظة ؟

والاجابة بالتأكيد لا يعرفها سمك القرش .. فالإجابة في البحر الذي لا يدري حتى الآن كيف يعاقب قراصنته القتلة ؟ .

الإجابة في البحر الذي لا يدري أيضاً كيف يخبئ أسماكه النادرة .. ويحافظ على صناديقه المليئة بالكنوز والأسرار .

ولعل الإجابة أيضاً في خلايا السمك النادر الذي يحترف الفرار إلى الزمن التصادمي ، وأمل محترف عنيد للفرار الذي يتجدد كل صباح إلى العصيان والتمرد والثورة من أجل رد كل شيء إلى حقيقته ، وإعادة كل شيء إلى دورته الدائرة حتى القتيل لطفلته الناظرة ..

لا تصالح

إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة

النجوم لميقاتها

والطيور لأصواتها

والرمال لذراتها

والقتـــيل

لطفلته الناطــــــرة

كان مشروعه المضـاد يشكل هدفاً حتمياً لا بديل عنه في هذا الزمان المختلف ، وهو بطبيعتـه ، وحركتـه الواعية ، ورغبتـه الأصيلة في التحـول من الـذاتية إلى العمومية ، وفي سعيه الدائم للخروج من المساحات الضيقة إلى المساحات المطلقة الرحبـة .. بل وفي إصراره على تحويل كل مستحيـل إلى ممكن كان لا بـد له وأن يصطدم مع واقع مغلق داخل ذاته .

وكان أمل متصـادماً دائماً .. حتى الموت !

سبتمبر ١٩٧٩

. . .

وبالتحديد بعد مضي ٩ أشهر على زواجنا .. ورم صغير في جســد أمل يتزايد يـوماً بعـد الآخر .. قـال الطبيـب بعد ثـلاثة أيـام فقـط من ظهـور الورم هـو (السرطان) .

ظللنا صامتين نخشــى من ترديد اسم المرض .. وانتـابتني حالة مـن الرقة البالغة في التعامل مع أمل ربما هــي الخوف .. نهرني أمل عن تلك الرومانتيكية في التعامـل مؤكداً أن أمامنـا موقفاً صعبـاً لا تحله الرومانتيكيـة وراح يفكر في مواجهة الغد .

حدد الطبيب موعداً لإجراء الجراحة .. فنسينا السرطان .

لم نكن نملك مليماً واحداً .. وأجر الطبيب (٣٠٠ جنيـه) هذا إلى جانب حجز المستشفى وثمن الدواء وأشياء أخرى .

لم نفكر كثيراً في هذا السرطان الذي هاجمنا فجـأة قدر ما كنا نفكر في كيفية الحصـول على (٥٠٠ جنيه على الأقل) لإجراء الجراحة .

تضاءل التفكير في المرض وتضاءل الخوف من السرطان أمام احتياجنا الأول إلى المال.

إنها المرة الأولى التي نعرف فيها حقيقة قسوة الفقر .. المرض هو الحالة الوحيدة على هذه الأرض التي تحول الفقير إلى بائس حين يواجه قدره عاجزاً .

رفض أمل نهائياً فكرة بيع خاتم العرس الماسي .. انها ثمن أرض الصعيد .. إنه الرمز الذي لا يمكن بيعه من أجل ٥٠٠ جنيه .

أصررت على بيع الخاتم ، فهدد أمل بعدم إجراء الجراحة (وكان عنيداً لا يتراجع حتى أمام الموت) .

استطعنا تدبير (٣٠٠ جنيه) مبدئياً من عدد من الأصدقاء بينهم صديق شديد الثراء قام بدفع ٢٠٠ جنيه .

صدر قرار من صندوق الفنانين بوزارة الثقافة بتغطية نفقات العلاج ، وتم إرسال مبلغ (٤٠٠ جنيه) على مراحل مختلفة. قمنا برد المبالغ المستدانة فيما عدا مبلغ الـ ٢٠٠ جنيه فقد قبض الصديق الثري أضعاف ما له عندما راح في شوارع القاهرة يعلن أنه دفع أكثر من ٨٠٠ جنيه حتى يتمكن أمل من العلاج ، بل راح يردد الكثير عن إدعاء أمل للمرض للحصول على بعض الأموال .. وقد لاقت هذه الأقوال هوى لدى نفوس كثيرة فقاموا بترويجها . وخاصمه أمل سنوات .. خاصمه حتى الموت .

لقد أخذ كثيراً من موقفه ، بل لقد سقط الموقف نهائياً .

...

كانت الجراحة الأولى تعني لدينا الرعب الشديد ، فهذه هي المرة الأولى التي نقف فيها في مواجهة السرطان .

وأنا أسير بجوار (الترولي) الذي يحمل أمل إلى غرفة العمليات سمعته يتمتم بالشهادة (**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله**) .

ضحكت :

ـ أمل لقد ضبتك متلبساً بالإيمان .

ابتسم في هدوء مردداً في همس خائف :

ـ أخشى ألا يؤثر فيَّ البنج .

فقبلته وأنا شبه منهارة .

...

في صباح اليوم التالى إستيقظنا على بحيرة من الدم تغطى أمل وجلبابه وملاءة سريره .. ولأنّا لا نعرف شيئاً قلنا هو الموت .

شلنى الفزع أمام هذا النزيف الحاد الفجائي .. وجريت باكية أبحث عن طبيب بينما راح أمل في هدوء غريب يضغط على جرس جواره يستدعي ممرضة الغرفة . كان الأمر أبسط من توهماتنا .. إنه نزيف عادي يمكن أن يحدث بعد أي جراحة .. بدا الأمر عادياً للغاية ، استئصال ورم سرطاني لا يختلف كثيراً عن استئصال لوزتين أو زائدة دودية .. بل لم تكن المستشفى مصدر إزعاج لنا فهي المرة الأولى منذ زواجنا التي تجد فيها حلولاً مريحة ومنظمة لمشاكلنا اليومية العادية الخاصة بالغذاء والإفطار والعشاء ..

لقد استطاع هذا الفندق العلاجي توفيرها .

مارس ١٩٨٠

بعد ٥ أشهر بالتحديد من الجراحة الأولى ظهر ورم سرطاني آخر .. على الرغم من تأكيد الطبيب سابقاً على نظافة جسد أمل التام من الخلايا السرطانية وكان ذلك إيذاناً بالخطر ، فمعنى ذلك أن السرطان سيعاودنا دائماً .

ولم يسترح أمل لتلك الجراحة الثانية فكثير من الأصدقاء لم يعلموا بها فقل زائروه .. كما أن شكل الغرفة التي أقمنا فيها كان مخالفاً لشكل غرفة الجراحة الأولى والتي كنا قد اعتدنا عليها .. فشعر أمل بالملل السريع وضاق بالمستشفى هذه المرة .

*** فبراير ١٩٨٢ :-**

قال الجراح في حدة قاسية : المرض منتشر في جسدك منذ أكثر من سنة وأنت لا تأتي لمتابعة الكشف . تذكر أنك مريض بالسرطان وأن الأمر أكثر خطورة من أن تتعامل معه بمنطق الشاعر . لقد تجاوز المرض الجراحة فلابد من ذهابك في الغد إلى معهد السرطان .

وانفجرت باكية بينما ظل أمل صامتاً يقتله الحزن الشديد حتى فاجأني بسؤال غير متوقع ، ربما ليكسر به حزنه العميق ، وربما كان شاغله الحقيقي :

- لما ذا لا يريدني الطبيب أن أتعامل مع السرطان كشاعر ؟

ولمحت في عينيه بعض دموع . فلم أحتمل النظر إليه .

ولفنا الصمت .

من عيادة الطبيب ذهبنا إلى أتيليه القاهرة قال أمل لبعض الأصدقاء .

- يمكنكم دعوة عبلة إلى كوب من العصير المهم لا تجعلوها تبكى .

ولم يسأل أحد عن السبب فلم يكن يجرؤ أحد عن سؤال أمل عن شيء لا يريد البوح به . وكان لابد لي من الذهاب بعيداً عن عينيه فقد كانت حالتي أكثر بؤساً أو على الأقل كانت دموعي تفضح كل عذاباتنا .

عدت هادئة نوعاً بعد قليل لأجد أمل في دائرة من الأصدقاء يمارس نقاشاته الحادة ، وضحكاته العالية ، وكأن شيئاً لم يحدث قط .

أصر في تلك الليلة طبيب من الأصدقاء على دعوتنا على العشاء ، وهو الذي كان يرفض دائماً فكرة السهر مع أمل لأنه يشرب الخمر ، والطبيب ينتمي إلى الإخوان المسلمين .

شرب أمل كأساً من الويسكي ، وبرغم ذلك شاء الصديق أن يدفع الحساب كاملاً .. ابتسم أمل وأصر على دفع ثمن كأس الويسكي قائلاً :

- لماذا تتخلى عن الجنة بسهولة ؟

أم أنك تريد دخولها في زجاجة خمر ؟

لم يعلق الصديق على تلك السخرية من رجل يعرف تماماً كطبيب بل ويعرف هو أيضاً أنه على موعد مع الموت قريباً .

...

في اليوم الأول لذهابنا إلى معهد السرطان .. استيقظت مبكرة فوجدت أن أمل لم ينم ليله : **انني خائف !**

لم يستطع أمل السير في شارع منزلنا القصير .. كانت قدمه اليسرى التي ظل الألم فيها طوال عام يزداد يوماً بعد يوم تمنعه من المسير ، فتوقف ليستند على أكثر من حجر ، وأكثر من سيارة واقفة **(تحتشد القاهرة بملايين السيارات الفارهة بينما أكبر شعرائها يخطو بقدم واحدة إلى معهد السرطان)** .

عندما لمحت السيارة الأجرة هتفت صارخة في منتصف الشارع :

معهد السرطان !

يومها قاوم أمل عذابه قائلاً : **جميلة وأنت تنطقين السرطان** وضحك حتى لا أبكي وضحكت بدوري حتى لا يبتئس !

...

في غرفة حسابات المعهد طلبنا غرفة مستقلة بمرافق ، قالت الموظفة (٧٠٠ جنيه) .. معنا (٣٠٠ فقط) .. قالت الموظفة إذن غرفة لمريضين دون مرافق .

وكان ذلك مستحيلاً . كيف تمر الأيام وكلانا بعيد عن الآخر . إن السرطان الحقيقي يا سيدتي هو إنفصالنا .

رفض أمل نهائياً فكرة الإقامة وحده ولو ليلة واحدة ، ولم يخطر في بالي لحظة أن يحدث هذا .

حجزنا غرفة للغد لحين استكمال المبلغ . وخرجنا من المعهد لنتناول طعام الغداء بمقهى ريش احتفالاً بعثورنا على غرفة خالية في معهد السرطان !!

* * *

« عـالم الغـرفة (٨) »

كانـت الغرفة رقم (٨) بـالدور السابع على مـوعد معنا ، أو لعلنا كنـا نـحن الذين على موعـد معها ، فقد صارت منذ اليوم الأول سكننـا الدائم ، بل هي أول منزل حقيقي تمتد فيه إقامتنا لأكثر من سنة ونصف كاملين .

كان للغرفة (٨) ملامحها الخاصة وإشعاعها الجميل ..

على الجدران صور ملونـة ولوحات كاريكاتيرية وقصـائد شعر .. أمام عين أمل كـانت صـورة يحيى الطـاهر عبـد الله معلقـة على الحائط المواجه .. وعلى الجدار المجاور كانت بطـاقة من ياسر عرفات تحمل تمنيـات الثورة بالشفاء .. وبجوارها رسم كاريكاتيري لجورج البهجوري حاملاً بعض باقات الزهور إلى أمل فوق سريره ، قد أرسله خصيصاً من باريس .

وعلى نفـس الحائط علقنا قصيـدة حسـن طلب (زبـرجـدة إلى أمل دنقـل) وقصيدة أمل (ضد من) التي نشرت في جريدة الأهرام .

على منضدة قريبة كان هناك العديـد من الكتب والأوراق والأقلام إلى جانب جهاز تليفزيـوني صغير وجهاز تسجيل ومجموعة مـن الشرائط تحمل أغنيات عديدة .

وعلى منضدة أخـرى كانت مزهـرية تحمل ورداً دائماً تفرح بـه أسماء إبنة يحيى ، وتصر على أن تضع واحدة منها في شعرها في كل زيارة .

كانت الغرفـة تعلن سعادتها بساكنها الشاعـر ، ولأول مرة أدرك أن حوائط الأسمنت أيضاً تحب الشعر .

نظر أحد الشعراء من شرفة الغرفـة فرأى النيل يبدو من خلالها رائع المنظر

خلاباً ، حسد أمل على هذا المشهد اليومي الجميل الذي لا بد وأن يفجر فيه أكثر من قصيدة ، سخر أمل من تلك الرؤية الـرومانسية الساذجة ، فالنيل لن يكون لديه يوماً مجرد لوحة جميلة يراها من نافذة .. أو طبيعة ساحرة ينظر إليها من خلال مزاجه الشخصي .

إن النيل الذي يعرفه مجرد مواطن درجـة ثانية في هذه المدينة ، عليه أن يبرز أوراقـه الرسميـة : شهادة الميـلاد والتطعيم والموطـن الأصلي والجنسية حتـى يمارس الحرية !

ناديت يا نيل
هل تجـرى المياه دمـا
لكى تفيض
ويصـــحو الأهل أن نودوا ؟

لم يسـمح أمـــل بدخـول اللـــيودراما إلى الغـــرفة (٨) فلم يصـــادق أحـــداً مـن المرضى ، ولـــم يســمح لأحــــد منــهم حــتى بإلقاء تحــية الصـباح علـيه .. فلا يوجـد مبـــــرر في العـــالم يدفعـه لأن يمـــارس تحـيات ساذجة طـول اليـوم لمجـرد أن القـائم بها شــخص مريض .. وكـان عنيـفاً في ذلـك إلى حـد القسـوة .

ـ صباح الخير يا أستاذ أمل .

ـ أفندم .

ـ ربنا معانا يمنحنا الصبر والشفاء .

يصمـت أمل رافضـاً الرد على هـذا المريض منشغـلاً في أى شـىء بجـواره . (جريدة ـ كتاب) معلناً أنه لا يريد أن يرى المرضى .

مريض واحد فقط استطاع إقتحام الغـرفة وفرض صداقته علينا لفترة وهو (كريم) ابن شاعر العامية المصري (محمد سيف) .. طفل لم يتجاوز الرابعة من العمر ، وكان مريضاً بسرطان الدم !

كل صباح يأتى لتحياتنا . فيستقبله أمل : **أهلا يا رفيق !**

تساقط شعر رأس كريم كاملا بعد تناول العلاج .. بكى الطفل عندما داعبه أمل : «لقد أصبحت أقرع مثلى» .. فأهداه أمل (كاسكيت حمراء) وأقنعه أنه أصبح أكثر جمالاً برأسه الأحمر !

يبكي كريم كل صباح من وخزات الحقنة فيقنعه أمل أنها شيء جميل للغاية ولا يستحق البكاء ، فهم يضعون في يده فراشة خضراء

(كانت الحقنة التي يعبأ فيها الدواء وتسمى بتر فلاى تأخذ شكل الفراشة من البلاستيك الأخضر) .

فرح كريم بالفراشات في يده ، وأخذ يتبادل مع أمل الفراش الأخضر .

ولقد كان أمل محقاً في محاولة ابتعاده القاسية عن المرضى ، فقد عذبه كريم ليالى طويلة ، وكان سبباً في إنفجاره يوماً بالبكاء الحاد .. إنها المرة الأولى التي يبكي فيها السرطان ، ويبكي عذابه ..

- ما الذي جناه طفل في الرابعة ليسكنه هذا العذاب ؟
ويذوب خلية بعد أخرى ؟

ولم تكن لدي إجابة سوى إعطائه فرصة الإنفجار باكياً ولو مرة واحدة .

- أمل لن نبكي بعد ذلك . لا بد أن نحاصر أنفسنا بالتفاؤل . إنه سلاحنا الوحيد ومقاومتنا الأخيرة . إما أن نحقق ذلك ، وإما أن نعلن هزيمتنا ونقرر الموت ..

ابتسم أمل :

- منذ متى وأصبحت حكيمة ؟

- منذ أن جاورت الحكيم .

وبالفعل كل غرف معهد السرطان كان يسكنها يأس ودموع والغرفة رقم (٨) كان يسكنها (أمل) .

كان يسكنها حب عظيم للعالم الذي قد لا نستطيع الذهاب إليه ، لكنه كان دائم الحضور إلينا .

* * *

مرت الأسابيع الأولى مفزعة .. كان مجرد كشف الطبيب يبكيني .. حقنة الجلوكوز ، مصل الدواء .. أجهزة الأشعة الضخمة تصيبني بالرعب .. بل إن أصوات المرضى الآخرين كانت تملأني بالخوف الشديد .. فعلى ريق الصباح توقظني صرخة مريض بالغرفة المجاورة لم تستطع حقن المورفين تسكين آلامه .. وقبل أن أغسل وجهي تطالعني وجوه باكية حول جثة هزمت سريعاً . وأظل أحصر عدد المهزومين يوماً بعد الآخر ، وأخبئهم عن أمل .

في البداية كانت تفزعني الجثث التي تتساقط يوماً بعد يوم ، ثم أصبح الموت أمراً عادياً ، وتشكلت الصعوبة كلها في كيفية تخبئة ذلك عن أمل .

وكان الخوف يأخذ لدى أمل دائماً شكل الصمت .

...

انتظرنا تحليل الدم الفاصل والذي يتحدد من خلاله طبيعة ونوع السرطان الذي تمدد في خلايا الغدد الليمفاوية ، وكنا نعرف جيداً أن هناك نوعاً سرطانياً يسمى (التراتوما) يعنى الموت (فقد اخبرنا الطبيب بالجراحة الأولى أن مريض التراتوما أقصى حدود مقاومته ربما لا تتجاوز ثلاثة أشهر .. كان يقص علينا ذلك مبشراً أمل بأن تحليلاته أكدت إبتعاده عن التراتوما وهو ما كان يخشى منه) .

نظر طبيب معهد السرطان إلى تحليل الدم الأخير ، ودون أن يدرى شيئاً عما نعرفه قال :

ـ للأسف الشديد لقد أكدت التحاليل إصابتك بالتراتوما ، وهو أمر صعب ، لم نكن نريده لكننا سنبذل كل ما لدينا من أحدث طرق العلاج .

انهرت تماماً فقد حكم الطبيب بالموت علناً .

ظل أمل صامتاً ، وأنا أصرخ في وجه الطبيب باكية :

ـ إن لم تكن واثقاً من قدراتك على العلاج فلا داعي للإستمرار معك ..

إندهش الطبيب من سلوكي العصبي الحاد !

وبينما أخذتني طبيبة أخرى إلى خارج الغرفة همس أمل إلى الطبيب :

ـ لماذا كنت قاسياً معها إلى هذا الحد . كان يمكن أن تخبرني وحدي .

إندهش الطبيب أكثر من هذا المريض الجرانيتي !

ظل أمل طوال اليوم يمسح دموعي التي لم أستطع أبداً إمساكها ، أو السيطرة عليها وعندما كففت عن البكاء .. فكر أمل في هدوء غير طبيعي بالتأكيد في الخروج من المعهد ، وعدم استكمال العلاج حيث لا جدوى .

وبدأت دوري في تهدئته :

ـ ليس في إمكانية الطبيب اختيار موعد الموت ، إنه توقيت إلـهي .

كانت الأسابيع الأولى أشبه بنوبات دورية يمارس فيها كل منا انتقال الدور في تهدئة الآخر .

ثم انفجر أمل في غيابي يوماً أمام الصديق الشاعر عصام الغازي :

لماذا يهاجمني الموت في زمان الفرح والهدوء ؟

لماذا أصاب بالسرطان في عام زواجي ؟

لو سألتني عن الموت ، فأنا لا أخشاه ، لكن أكثر ما يعذبني في موتي هو بكاء أمي وعذاب عبلة من بعدي !

لم يحتمل عصام الغازي رؤية أمل للمرة الأولى بهذه الصورة ، فذهب ولم يعد مرة أخرى إلى المستشفى .

كانت الأسابيع الأولى شديدة القلق .. شديدة الخوف .. شديدة التوتر شديدة العذاب والقسوة .

شاهدني الطبيب بعدها ضاحكة .. فشكر أمل لأنه مرافق جيد للمريضة التي هي أنا .

صار السرطان صديقنا ، أو على الأقل أصبح لا يزعجنا وجوده كثيراً ، نعانده ونسخر منه ، بل ونهزمه برغبتنا المستمرة في الحياة ، والحياة السعيدة.

كنا نضطر إلى المرور عبر الجثث المتراكمة في غرف المشرحة بالدور الأرضي بمعهد السرطان من أجل أن نستطيع محادثة صديق تليفونياً حيث سويتش المعهد .

ولم يكن يعني ذلك شيئاً .. لقد صارت الجثث والموت جزءاً من حياتنا بل كان طريق الموت هو الطريق الوحيد إلى الحياة والإتصال بالعالم .

كان أمل المريض الوحيد الذي يتسلل في منتصف الليل من غرفته ليسرق شوارع القاهرة ويعود ليخبئها في سريره ..

نسى أنه مريض ومارس عشقه لشوارع القاهرة ، بالإصرار على رؤيتها بين الحين والآخر ، من نافذة سيارة أحد الأصدقاء .

صارت القاهرة التي عرفت كل شوارعها وحواريها خطوات أقدام الشاعر مجرد ضوء من نافذة سيارة تقطع الشوارع طوال الليل .

* * *

غضب الطبيب من فكرة سفر أمل للعلاج في أمريكا أو في موسكو . على الرغم من تراجع الفكرتين ، مرة عندما لم يسع أحد لتحريك العلاج بأمريكا .. ومرة بعرقلة أو عدم إهتمام عبد الرحمن الشرقاوي بطلب خالد محيي الدين بتسهيل إجراءات سفر أمل إلى موسكو .

ومع كل الأحوال رفض أمل السفر ، ورفض طبيبه المعالج د / رضا حمزة مؤكداً أن نفس نظام العلاج الذي سيطبق هناك هو الذي سنطبقه هنا ، لكن

هناك مجرد مواطن مـن دولة نامية ، بينما أنت لدينا ثروة قـومية ندرك قيمتها ونحافظ عليها .

وكان أمل مقتنعاً بالعلاج في مصر ، واثقاً في أطبائه ، فخوراً بكفاءتهم العلمية .. كما كان مدركاً أن الموت لن ينتظر لحظة واحدة في أمريكا .. إن قليلاً من الأمل في مصر أكثر شفاء له من الكثير من الأمل في برودة الغربة البعيدة .

وكنا جميعـاً مقتنعين بذلك فقـد عاش أمـل ٤ سنوات كاملـة يصارع الموت وجهاً لـوجه بقلـوب الناس التي وعـدت بالمجيء، وجـاءت لتلتف حـول سريره المعدنى المسكون بالشمس .

انتقل الشـارع وانتقـل المقهى بأكمله داخل الغرفـة (٨) .. أكثر من ٢٠ زائر يوميـاً ولم يكن ذلك يمثل إرهـاقاً لأمل ، بل على العكـس كانت ملامـح الإرهاق تتبدد تماماً وتنتابـه الصـحة والحيوية عند أول زائر يعوده .. حتـى صار موعد الزيارة هو موعد مع الصـحة ينتظره .

امتلأت الغرفة بالناس .. تحمل فتاة أقلامها الملونة ، وتجلس ساعات لرسم أمل ، وتصر فتاة أخرى على أن تقتصد من مصروفها ثمن باقة ورد أسبوعية إلى أمل .. ويصر صديق على أن يحمل في كل زيارة كاميرا ليلتقط صوراً عديدة لأمل

صـارت وجـبة الغـداء وجبة جماعيـة .. يتـوافد الكثـيرون وتنعقـد المناقشات والحوارات الطويلة حتى صارت الغرفة حديث المعهد كله .

مئات الـرسائل لا تنقطع بصـورة يومية مـن داخل مصر ومن خـارجها .. خاصة بعد أن نشرت مجلة الدوحة عنوان أمل في المعهد .

ومن لم يأت حملته إلينا رسائله :

*** ـ أمل لن أراك مريضاً .**

فموعدي معك في الليل .. في إحدى البارات مع كأس من الخمر المغشوش.

*** ـ الليـل بدونـك غـير ما عـرفت .. والقـاهرة بدونك خـربة ومملـة**

أوحشتنا حقاً لكن بعيداً عن مستشفاك .

*** ـ ليس من الضروري أن أزورك فانت تعرفني جيداً . قد أكون ذلك الذي تقصده أو الذي جعلت جزءاً كبيراً من إبداعك ينصب عليه إنني إبن المعاناة معاناتي ومعاناتك .**

*** ـ أنت أحد الأشخاص النادرين في حياتي الذين فكرت في لحظات عجزي وفشلي وخسارتي أن أكتب لهم ، وأقول لهم أنني وحيد تطاردني التفاهة وتفترسني أوهام تعسة .**

*** ـ نحن الفقراء المتشحون بعاهتنا ، لا نملك إلا زهرة ضراعة بيضاء كي يهبك الله الشفاء ويهبنا الفرح بذلك .**

وتوالت الرسائل من كل مكان .. وتوالت الرسائل من باريس من عبد المعطي حجازي :

«لقد نزل على خبر وجودك في المستشفى كالصاعقة ، وقد اعتبرت ذلك وكأنه شيء موجه ضدي بالذات .. فأنا في حاجة إليك يا أخي ، ليس هذا شعوراً أنانياً ، فأنت تمثل قيمة كبيرة ومستقبلاً ، أنت تمثل لي ولمن يحبونك وهم كثيرون جداً جداً ، تمثل لنا أملاً حقيقياً وقدرة أكيدة على العمل والإضافة والتجاوز والصدق مع النفس والآخرين .. وهذه بذرة تحتاج إليها البلاد الآن ، ويحتاج إليها الشعر.. لا أبالغ» .

وصار نداء يوسف إدريس الشهير على صفحات جريدة الأهرام نداء عاماً :

بالله يا أمل لا تمت فكلنا فداؤك .

...

قبل مطالبة د / يوسف ادريس بعلاج أمل على نفقة الدولة كان قد مضى

أكثر من شهرين على إقامتنا بالمعهد أنفقنا خلالها أكثر مما كنا نملك (٣٥٠٠ جنيه) كان ثمن الدواء الشهري فقط (١٠٠٠ جنيه) دون أجر الطبيب، والتمريض، والمستشفى، والتحاليل، والأشعة، والعلاج الطبيعي.

طالب بعض الأدباء من رئيس اتحاد الكتاب (الأستاذ ثروت أباظه) مشاركة الاتحاد في علاج أحد أعضائه فوافق السيد الرئيس على صرف (١٠٠ جنيه) مشاركة من الاتحاد على أن يتقدم أمل بطلب التماس !!

وبالطبع لم يتقدم أحد بالتماس .. بل ولم يعلق أمل على ما حدث !

صدر قرار من وزير شئون مجلس الوزراء بعلاج (المواطن أمل دنقل) على نفقة الدولة بالدرجة الثانية دون مرافق بنفقات قدرها (١٠٠٠ جنيه)، وكان قراراً تهريجياً رفضه أمل، ورفض أيضاً تعديله إلى (٢٠٠٠ جنيه) وظل مستاء طويلاً من مكاتبة شئون مجلس الوزراء إليه (بالمواطن أمل دنقل نزيل معهد الأورام).

طالبت حسابات المعهد بألف جنيه لتغطية رصيد العلاج بعد إنكشافه .. كان معنا في تلك اللحظة أحد الأصدقاء ودون أن يسأله أحد منا، ودون أن نطالبه بالتفكير معنا في هذه المشكلة الطارئة صرخ في الغرفة: حتى آخر قميص في داري يا أمل .. غداً سأحرر لكما شيكاً بألف جنيه.

لم نعلق بشيء فقد كان إنفعال الصديق حاراً وحقيقياً، لكننا في نفس الوقت لم نفكر في هذا الطريق.

جاء الصديق في صباح اليوم التالي أمضى معنا طوال اليوم دون أن يذكر شيئاً عن الشيك الذي وعد به، ودون أن نسأله نحن بالطبع عنه !

حزن أمل، نبيلاً في صمته .. فلم يكن الأمر مالاً .. ولكن، كيف تواطأ من سكن القلب على دمنا المكشوف !

صديق آخر كان يخجل من فقره الذي لا يساوي أكثر من (١٥٠٠٠ جنيه)

هي كل رصيده في البنك .. شاهد إشعار المستشفى المطالب بالألف جنيه ، فلاذ بالصمت ، وراح يلعن داخل الغرفة الحكومة !

زارنا أحد كبار الناشرين الأثرياء في بيروت كانت زيارته للقاهرة لا تتجاوز أسبوعاً واحداً حرص أن يكون أهم ما فيها زيارة أمل في المستشفى .

أخرج من جيبه بعضاً من المال ووضعه تحت الوسادة .. أقسم أمل ألا يفعل الرجل ذلك :

ـ أمل إنني صعيدي مثلك .. هذا منطقنا وتلك تقاليدنا .

أقسم أمل مرة أخرى بغضب أفزع الرجل .. فتراجع .

ظل الرجل طوال أسبوعه في القاهرة يحكي عن مساهمته في علاج أمل !!

سنة تمضي وأخرى سوف تأتي

فمتى يقبل موتى

قبل أن أصبح مثل الصقر

صقراً مستباحاً

كان كل شيء يحاصرنا دائماً بالعجز التام ، والذي كان الموت أخف وطأة منه .. بكى أمل عندما أتته مشاركة الأصدقاء في السعودية والكويت مساعدة في علاجه .. بكى يومها العجز ، والمرض ، والعذاب !!

« أوراق الغرفة (٨) »

مضى أكثر من ثلاثة أشهر دون أن يتذكر وزير الثقافة أن أكبر شاعر في مصر مريض في معهد السرطان .. متناسياً إرسال باقة ورد أو زهرة وحيدة .. هكذا كشف يوسف إدريس بمقالته كيفية التعامل مع شعرائنا في زمان النثر الرديء.

فأرسل وزير الثقافة ـ باقة ورد كبيرة وخطاباً مملوءاً بالود والدعوات بالشفاء إلى أمل :

السيد الأستاذ الشاعر أمل دنقل

تحية ملؤها الدعاء الصادق ، وحباً كله تضرع للخالق القادر وأملاً إلى الله أن يحقق كل أمل بشفاء أحد شعراء مصر العمالقة أمل دنقل .

وإذا كانت وزارة الثقافة قد قامت بدورها في الإطار الذي يرسمه القانون لها . فإنني من منطلق حبي لك ولكل أديب أرجو أن تقبل تحياتي وتمنياتي لك بالشفاء العاجل .. و إلى لقاء قريب بإذن الله .

المخلص

عبد الحميد رضوان

امتلأت الغرفة بباقات الزهور ، منذ أن نشرت الجرائد خبر القرار الإستثنائي الذي أصدره رئيس الوزراء (د/ فؤاد محيي الدين) بعلاج أمل على نفقة الدولة..

كانت معظم باقات الزهور تحمل رائحة وأحاسيس رسمية غير دافئة .. بل أن نوعية زائري الغرفة خلال ذلك الأسبوع تغيرت قليلاً .. فمن لم يزره من قبل

بدأ يتوافد على زيارته ، بل إن بعض الأقارب جاءوا من بلدتهم خصيصاً لزيارة أمل للمرة الأولى فرحين بموقف الدولة مؤكدين (أن تشريف الحكومة لكم تشريف لنا نفخر به) !!

وتحول أمل إلى مريض .. بل صار في ذهن أجهزة الثقافة والإعلام الرسمي (المريض الشاعر) يقيمون له مهرجاناً إعلامياً أخلاقياً دون إشارة إلى شعره .

تتزايد باقات الزهر الرسمية فيختنق أمل ويزداد كآبة من هذا المهرجان الفجائي المزيف ، ولم يستطيع يومها النوم قبل أن يكتب قصيدته (زهور):

كل باقة

بين إغماءة و إفاقة

تتنفس مثلي بالكاد ـ ثانية ثانية

وعلى صدرها حملت ـ راضية

إسم قاتلها في بطاقة !

شهدت الغرفة (٨) مولد ٦ قصائد **(ضد من . زهور . لعبة النهاية . الخيول . السرير . الجنوبي) .**

كانت قصيدة (ضد من) والتي كتبت في ١١/ ٥/ ١٩٨٢ في ذاكرة أمل من قبل أن يدخل معهد السرطان .. فذلك الصراع بين الأبيض والأسود كشفت عنه ورقة كبريت صغيرة كتب عليها أمل في يناير ١٩٨٢ :

في ردهات العيادات

لون المقاعد أبيض

وعندما زاره د / يوسف أدريس في المعهد طالبه بقصيدة جديدة لينشرها مع مقالته عنه ، وبالفعل لم ينم أمل قبل أن ينتهي من القصيدة .

أثار المقال والقصيدة الكثير من الجدل وأصبحت القصيدة حديث الناس ..

وكيـف استطاع أمـل أن يلخص رؤيتـه للكون مـن خلال لـونين فقط الأبيـض والأسـود .

وفي نشـوة انتصار القصيـدة راح أمـل يكتب قصيـدة (زهـور) ثم (لعبـة النهاية) في ليلة واحدة ٢٩/ ٥/ ١٩٨٢ والتي وضـع عنوانها في البداية (الآخر) .

قلت له أظنه ليس الموت وحده هو المقصود بالآخر .. فلم يعلق .

جسدين وقلبين متحدين

(تغيم الزوايا

وتحكى العيون حكايا)

فينسل بينهما

مثل خيط من العرق المتفصد

يلعق دفء مسامها

يغرس الناب في موضع القلب

تسقط رأس الفتى في الغطاء

وتبـقى الفتـــاة محـــدقة

ذاهلة !

نشر أمل القصيدة في مجلـة اليمامة السعودية تحت عنـوان (الموت) ثم عاد وعدّل عنوان القصيدة بشكل نهائي إلى (لعبة النهاية) .

غضبت مـن عصبيته الحادة يـوماً ، فصمت كعـادته حين تشتعـل النار في أعصابي . في صبـاح اليوم التالي ، وجدت بجـواره مسودة قصيدة ظـل يكتبها طوال الليل

لا تنتظري أن يبتسم العابس

فالفارس ليس الفارس

مدى بإنائك

عبر السلك الشائك

واسقيه من مائك

مدى طرف روائحك

حتى يصنع منه للقلب ضماداً

ويسد شقوق البرد القارس

ويرد البرد القارس

تتوالى فصول العام على القلب الباكي

لم يستروح عبر الأشواك سوى رؤياك

فعيناك ، الفردوسان : هما الفصل الخامس

عيناك هما آخر نهر يسقيه

بيت ياويـــه

وآخر زاد في البيت

وآخر عجم أن يستفتيه

أريحيـــــــه

أريحيه على الحجر البارد

كي يرتاح قليلاً فلقد سار طويلاً

وقفي كملاك الحب الحارس

وقفي حتى لا يفجئه الموت

قفي كملاك الحب الحارس

أصر سليمان فياض وسامـي خشبه على أن يحتوي العدد الأول مـن مجلة إبداع على قصيدة لأمل ، فقام أمل بكتابـة قصيدة (الخيول) أو إعادة كتابتها في صورتها النهائية التي نشرت بها .. وأصّرا على قصيدة أخرى للعدد الثاني فكتب أمل (الجنوبي) .

ولعل تلك المحاصرة والإلحاح بالكتابة كانت تدفع أمل كثيراً للكتابة وهو الكسول الهارب دائماً من الإمساك بإبداعه .. فمن قبل كتب أكثر من نصف قصيدة (سفر ألف دال) في ليلة واحدة ، عندما كان لا بد من الانتهاء من الديوان لإرساله إلى بيروت .

. . .

وقد كانت قصيدة الجنوبي هي آخر ما كتب أمل داخل الغرفة ٨ .. ولم يعجب بها أمل كثيراً ، بينما ظل محتفظاً بإعجاب داخلي لقصيدة الخيول .. وراحت شوارع القاهرة تحفظ قصيدة الجنوبي وراح يرددها كل الأصدقاء ورأى النقاد فيها الرؤية المكتملة ، والتي لا بد وأن تفضي بالتجربة إلى الموت بل إن يوسف أدريس رآها رؤية مستحيلة ، مستحيلة أن يراها سوى أمل :

«هو وحده الذي كان يراها بوضوح شديد .. وحين صاحبته أكثر وأكثر ، وفي أخريات حياته كنت له رفيق كل يوم وكل نميمه وكل قهقهة عالية بدأت أخاف من رؤياه المستحيلة إذ كنت قد بدأت أراها .. وبدأت تحتل عليّ تفكيري حتى اني رفضت تماماً أن أقرأ قصيدة الجنوبي الأخيرة فقد كنت متأكداً تماماً أني لو قرأتها لأكتملت الرؤية ولمت مثله ومعه» .

وقد كانت سطور القصيدة الأخيرة بالتحديد قراراً نهائياً من أمل بالموت

هل تريد قليلاً من الصبر ؟
لا
إن الجنوبي يا سيدي
يشتهي أن يكون الذي لم يكنه
يشتهي أن يلاقى اثنتين :
الحقيقة والأوجه الغائبة

كان وجه القاصى الراحل يحيى الطاهر عبد الله أحد وجوه القصيدة ولطالما عذبت أمل كثيراً محاولة استحضار يحيى داخل قصيدة .. ففي كل مرة يحاول أمل استحضاره شعرياً يهرب يحيى وتهرب القصيدة .. ويظل يواصل أمل نداءه فلا يستجيب يحيى .

هل كان الحاح أمل على القصيدة يستفز يحيى الذي لم يشأ أن يكون مجرد قصيدة يكتبها أمل فيكف عن النداء ؟

أم كان يريد نداء أبدياً لا ينتهى حتى يتلاقى وأمل ؟

نسى أمل القصيدة .. فأطل يحيى في الورقة الأخيرة من أوراق أمل :

ليت (أسماء) تعرف أن أباها صعد
لم يمت
هل يموت الذي كان يحيا
كأن الحياة أبد
وكأن الشراب نفد
وكأن البنات الجميلات يمشين فوق الزبد
عاش منتصباً بينما
ينحنى القلب يبحث عما فقد

قالت لي أسماء إبنة يحيى وهى تنظر إلى قدمي أمل : إنه لا يحرك رجليه .

ـ نعم يا أسماء إنها توجعه قليلاً

جاءت في اليوم التالي تحمل معها رسماً ملوناً لأمل خارج السرير في حديقة مليئة بالزهور علقها أمل على الحائط بجواره .

* * *

حاصرتنا الكآبة ليلا ، ولفنا الصمت داخل الغرفة (٨) .. كان الضيق يحول دون أي حوار ممكن ، وإلا انفجر الكلام شجاراً والشجار عناداً وكلانا يحترفه !

مددت يدي أفتح التليفزيون في محاولة لكسر هذا الملل الخانق .. كان برنامج أمسية ثقافية للشاعر فاروق شوشة قد أوشك على الإنتهاء .. دعا فاروق شوشة ضيفه الشاب سماح عبد الله إلى تقديم قصيدته .

ذكر الشاب أنها قصيدة (يا صدرا وطنا) وأتمنى لو أن الشاعر أمل دنقل يستمع إلينا الآن لأنها مهداه إليه ..

ورسمتك في كراساتي

حقـــــــلا

موّجتك أنهاراً

أوقدتك ناراً

نزّلتك مطراً

وتخـــيّرتك فصـــلا .. غــــير جميــــــع فصــــول الأعـــــوام

تطلع أخضر كالحب

وتغنى للفقراء

كدت أجـن فرحاً مـن المفاجأة ، وأنـا أخاطـب سماح (الذي لا نعرفـه) أمام شاشة التليفزيون .

أنت جميل .. أنت أكثر من جميل

سقط الملـل وسقطت الكآبة تمامـاً وامتلأت الغرفة بضجيـج الفرح الحاد في صوتي ، بينما راح أمل ، في هدوئه يهدئ من انفعالي .

ــ يصـبح فرحــك أجمـل داخـــلك ، مثلمـا يصـــبح حـزنك أنبـــل دون الشـكوى به .

هكذا استطاعت قصيدة من شاب صغير أن تكسر كل ملامح الكآبة ، وتعيد إلى أمل الهدوء والسكينة والفرح ..

مرة أخرى يكون الشعر هو التوازن والبديل عن الانتحار .

كان آخر لقاء شعري ألقى أمل فيه قصائده هو مهرجان (حافظ وشوقي) الذي أقامته وزارة الثقافة من ١٦ اكتوبر ١٩٨٢ إلى ٢٢/ ١١ ، إحياء لذكرى الشاعرين حافظ إبراهيم وأحمد شوقي ، بمناسبة مرور خمسين سنة على وفاتهما .

تردد أمل كثيراً في حضور المهرجان ، فقد كان بحالة صحية متدهورة ، حيث تساقط معظم شعر رأسه وأسنانه .. كما أنه لا يقوى على السير على قدميه إلا بصعوبة ، وبمساعدة عكاز وفقد أكثر من نصف وزنه ، وبدا هزيلا للغاية .

: لن أستطيع الظهور أمام الناس بهذه الصورة . إن الأمر سيتحول إلى شفقة .

صعقتني العبارة . إنه من أكبر شعراء مصر وأشدهم خطورة. وإن قصيدته وحدها قيمة فنية كافية لإحداث التفجير في وجوه الحاضرين ، فكيف يخطر بباله مرورها من خلال الشفقة .

قال :

ـ لن أذهب .

قلت :

ـ ستذهب ، وستكتشف أنك أجمل الحاضرين ، وأكثرهم صحة .

وافق أمل بسهولة ، فقد كان يدرك جيداً قيمته كشاعر .

حاول البعض مساعدته للصعود إلى المسرح فرفضهم بقسوة ، وصعد وحده لإلقاء قصيدته (لا تصالح) .. كان المهرجان رسمياً (من تنظيم وزارة الثقافة) وأمل يعلن وصيته الأخيرة واضحة ، قاطعة كالسيف ..

إنها الحرب

قد تثقل القلب

لكن خلفك عـــار العرب

لا تصـــــالح

ولا تتوخ الهرب .

قاطع الجمهور القصيدة بالتصفيق الحاد مع كل مقطع أو صورة شعرية ، بينما ترك أمـل عكازه ، ووقـف على قدميه بصــلابة ، وأنــا لا أكاد أصــدق أنه استطاع الوقوف ثابت القدمين ، دون عكاز ، طوال هذه المدة .

أجمع الحاضرون أن قصيدة أمل من أهم ما في المهرجان وكان ذلك صحيحاً إلى حد كبير .

عدنا إلى المعهد في الثالثة صباحاً (بعد سهرة في منزل الدكتور لويس عوض) كان المصعد معطلاً والجميع نيام ..

أصبح الأمـــر شـــديد الصـعوبة .. فـالغرفـة بالـدور السابـع ، وأمل لا يسـتطيع السـير خطوة واحـدة .. صعـد أمـل الطـوابق السـبعة ، دون أن يشـعر حتـى بالتعـب.. إنـه لم يصـعد بقـدميه بـل بنجـاحه وروح الشـعر المنتصرة في داخله .

* * *


Twitter: @ketab_n

« حقـــل التجـــارب »

كان الطبيب مغرماً بالسياسة يأتي للكشف مردداً قصيدة أمل الشهيرة :

أبانا الذي في المباحـــث

كيـــف تمـــــوت

وأغنية الثـــورة الأبديـــة

ليســـــت تمـــــوت ؟

أسأل الطبيب : لماذا أطباء السرطان يميلون في اتجاه اليسار ؟

يجيبني ضاحكاً : عندما يهاجم السرطان شاعراً فلا مفر من تدمير الواقع .

ولم يدمر الـواقع بل تم تدمير أمـل (بالبلاتينوم) تلـك المادة المستخدمة في تفجير القنبلة الذريــة .. وكنت أردد أن أمل بحاجة إلى نسبة أكبر مـن البلّاتينوم لأنه أقوى من القنبلة الذرية .

وكان طبيبه يـردد انه ليس شاعراً تـاريخياً فحسب ، بل ومـريض تاريخي أيضاً .. وكنا نفرح بهذه العبارات القاتلة لنداري المأساة .

كان أمل مريضاً تاريخياً بالفعل .. فقد تمت في جسده تجربة علاج إشعاعي هي الأولى من نوعها في الشرق الأوسط ، حصل فيها على أكبر نسبة إشعاع ذري مكثف تعطى لمريض في جرعة واحدة ، حتى أن الطبيب سألني : هل توافقين على تصوير جسد أمل داخل التجربة .

وأجبت دون تردد : ان ذلك يسعد أمل شخصيــاً إذا كان سيضيف للتجربة العلمية .

كنت أرتعد حول التجربه بينما راح الطبيب في سعادة بالغة يلتقط صوراً عديدة للجسد المغيب داخل الإشعاع الذري .. من خلال دائرة تليفزيونية مغلقة.

توقع الطبيب أثر التجربة حدوث إنهيار حاد حتى انه جند العديد من الأطباء والممرضات لمتابعة إنهيارات الجسد .. طبيب مختص بالقلب، ومحاليل جلوكوز.. وأكياس دم ، وأكسجين ، وحقن ، وأدوية عديدة لمواجهة أي ظروف طارئة .

وخرج أمل من التجربة منتصراً ..

وخرج الطبيب مندهشاً .

- إن استجاباتك في العلاج تفوق تصورات العلم لدينا إن جسدك تحدى احتمالات الانهيارات كلها .

ووقفت أردد قصيدة محمود درويش :

يا حقل التجارب
للصناعات الخفيفة والثقيلة
يا لحم الفلسطيني

يبتسم أمل بل ويسعد بالتجربة ، ويفاخر بأنه أول مصري ، بل وأول عربي تناول تلك الجرعة المكثفة من الإشعاع الذري ، واستطاع أن يفوق خيال العلم الطبي في احتمالها .

ان الطب يضع احتمالاته على جسد إنساني .. لكن الأمر يختلف أمام جسد الشاعر .

* * *

صرخ جابر عصفور وهو يقرأ غلاف علبة الدواء : سم !

وصمتنا جميعاً فقد كان الدواء حقاً سماً سرى في جسد أمل كاملاً حتى عصفت به في النهاية غيبوبة (البولينا) .

تناول إحدى جرعات هذا السم ، فتشققت ثنايا جسده بالجروح ، صار الجسد جميعه مغطى بأربطة الشاش والقطن بعد أن انفتحت الجروح في كل مكان ، تحت الإبطين ، خلف الأذنين ، في ثنايا الركبتين ، بين أصابع القدم .. ورفض أمل الاستمرار في هذا الدواء وقمت بإعدام العلبة .

وعندما أخبرنا الطبيب بما حدث وافق على إيقاف هذا الدواء .

ـ أكاد أوقن أن أمل لم يهزمه السرطان قدر ما هزمته السموم المعالجة.

كانت قطرات الجلوكوز المذاب فيه الدواء تتساقط قطرة قطرة داخل وريد أمل فيصاب بالجنون .

وحدها كلمات (صلاح جاهين) والتي تغنى بها عبد الحليم حافظ في الستينيات ، كانت هي المسكن الوحيد الذي يدفع أمل لاحتمال عذابات الدواء الذي يحاصره بالإعياء ، والقيء المستمر ، وإظلام الغرفة خمسة أيام متواصلة والعصبية الحادة .

لم يكن الدواء يسمح لعينيه بالقراءة أو مشاهدة التليفزيون ، بل كان يفقده أيضاً القدرة على التركيز .. إن قواه تتبدد تماماً مع إنفجار الدواء القاتل لخلاياه السرطانية والحية في آن واحد .

ولم يكن ممكناً ايقاف جهاز التسجيل وإلا كان معنى ذلك التوقف عن محاليل الدواء ، والتي كانت تبدأ في الصباح ، وتنتهي حتى منتصف الليل .

يوقف جهاز التسجيل ربما أمام كل عبارة أو كلمة أو جملة موسيقية ليشرح لي كيف استخدم الشاعر هنا هذا اللفظ أو هذا المعنى . أو كيف استطاعت هذه الجملة الموسيقية أن تحقق الجمال للصورة الشعرية .. وكيف استطاع الصوت بصدق أدائه أن يحيل عبارات لا تغنى إلى أغنية شاعرية .. لقد استطاع صلاح جاهين كتابة الميثاق شعراً ، وتحويل الثورة المصرية إلى أغنية عاطفية .

كانت الأغنية هي جواز المرور إلى العلاج ، أو هي الحل الوحيد للحالة العصبية الحادة التي تصاحبه .. وكنت أجلس بمواجهته أمسك أحياناً بقلم أسود وورقة بيضاء أمامي في محاولة لرسمه (وأنا لا أجيد الرسم) لكنها كانت نوعاً من إلهاء أمل عن السموم التى تخترقه في هذه اللحظة والتوتر الذي يصاحبها ..

ـ انظر إن الصورة قريبة من ملامحك ..

تنظر الممرضة حقيقة انها تشبهك يا أستاذ أمل .

لا يعلق أمل على الصورة بل يحزن أمام هذا الإلتصاق الشديد به .. ويبادرني :

ـ ما الذي تفعلينه بعد موتى ؟

ـ لا شيء مثلما تفعله أنت بعد موتى .

ثم نهرب مرة أخرى إلى الغناء .

* * *

بدأ الدواء يفقد أمل أعصابه كاملة ، ويحوله إلى مريض مزعج للغاية ، لا يحتمل حتى ذاته ، يخشاه المرضى وتخشاه الممرضات جميعاً حتى كان موعد علاجه بالنسبة لهن موعداً مع الجنون الحاد ، فيأتين جميعاً لإعطائه الحقنة .

أكثر من ٦ أو ٧ ممرضات يقفن جميعاً في حالة إرتباك لإعطاء حقنة واحدة ، لهذا المريض العصبي الذي قد يصرخ في وجوههن ، أو يلقى في أي لحظة بعلاجه ، ويقرر في حسم لا تراجع فيه إلا يتناول العلاج .. وبالفعل يخضع الجميع لمشيئته أو لعناده ، وتبدأ محاولات تهدئته حتى يتناول العلاج في اليوم التالي دون قلق وتوتر .

يسأل عن أدق التفصيلات الخاصة بالعلاج والمرض مهما كانت

خطورتها.. ويتأكد من صدق معلومات الطبيب بسؤال طبيب ثان وثالث ورابع .

يقارن بين نتائج التحليلات المستمرة وتقارير الأشعة ويأخذ العلاج في اللحظة التي يقررها هو .. بل يختار الوريد الذي يمكن للممرضة أن تضع له فيه حقنة الدواء معلناً إذا اعترضت الممرضة أنه أدرى بأوردته منها .. ويطالبني بالإطلاع على الدواء الذى أمامه – رغم وقوف الممرضات جميعاً – حتى يمكنه الإطمئنان .

كان كثير التساؤل حول كل خلية في جسده لمحاولة الوصول إلى طبيعة تكوينه الجسمي وتفاعلاته حتى يتمكن من علاج ذاته بذاته .. كل شيء مرهون لديه بالإرادة شرط أن يحاول الإنسان .

أتذكر وجهه في المرآه وهو يحاول خلع إحدى ضروسه بكماشة حديدية .. هكذا بدون بنج .. (إن الإرادة وحدها هي القادرة على هذا التجاوز) .

صرخت بفزع :

– هذا جنون .. وأسرعت من أمامه حتى لا أشاهد هذه المذبحة .

ثم أعود إليه بعد قليل :

هل مت ؟

لا يلتفت إلى .. ويظل يواصل نزع ضروسه بالكماشة . ينجح في إتمام التجربة ، فيهديني ضرسه معجباً بهذه القدرة الهرقلية .

أعتذر عن الهدية

– لا أريد أن أكون زوجة لأسطورة !

كانت إصابته بالصداع تعني أيضاً مشواراً مكثفاً مع الإرادة لإخراج هذا الصداع من الرأس .. إنها تجربة علمها له صديقنا الراحل المهندس (حسن فهمي) والد الفنانة فريدة فهمي ..

يصر على حصار الألم ذهنياً ، ثم محاولة زحزحته من منطقته حتى يصل إلى إخراجه نهائياً من عينيه .

ولا أدري حتى الآن كيف كانت تتم هذه التجربة ، بل كنت ومازلت دائمة الشك في صحتها ، لكن شكل التجربة وطبيعتها كانت تستهويني فأبدأ في ممارستها عند أول صداع أشعر به ، ولا أصل بالطبع إلى شيء .

يضحك أمل على فشلي المتكرر مفسراً أسبابه : أنت فقط تروقك التجربة دون أن تمتلكي مقدرة دخولها .. إن العربة لا تأتي أمام الحصان .

« غيبـــوبـة الموســــيقى »

إزدادت حالة أمل سوءاً

في كل يوم ترتفع نسبة البولينا في الدم يوماً بعد الآخر ، فيؤجل الطبيب علاج السرطان الذي يتعارض مع وجود البولينا .

(أدوية السرطان تصيب الجسد بالتسمم (البولينا) ، ووجود البولينا يوقف إمكانية تعاطي أدوية السرطان !) .

انخفضت نسبة البـولينا قليلاً فأخذ أمـل العلاج ، فتفاقمت البولينــا وكانت النهاية المحتمة .

ولا أدري لماذا ذكر أمل (أننى أشعر أن هذا آخـر علاج سأتناوله) ولا أدري لماذا رددت ذلك أنا أيضاً إلى بعض الأصدقاء ، دون أن يمر في خاطري الموت ، أو على الأقل دون أن أنتظره .

يبدو أن حضور الموت كان طاغياً ، نمتلئ به إلى حد عدم الإحساس به .

وانهار كل شيء في جسد أمل بعد اسبوع واحد ، وبشكل فجائي .

بدأت أجهـزته تتـوقف عضواً عضــواً ، فلا يتمكن مـن التقلب مـن الجانب الأيمن إلى الجانب الأيسر ، بل حتى دون أن يستطيع رفع نصفه الأعلى للجلوس فوق سريره .

كانت يداه الممدودتان المرفوعتان ، تطالبني بتحريكه (حين عجز عن الكلام) هي أقصى صور العذاب التي يمكن أن أراها .

انخفضت نسبة الدم فسأل أمل الطبيب :

ـ هل يمكن نقل دم إلى ؟

قال الطبيب : جسدك لم يعد يحتمل !

ـ هل يمكن نقلى إلى مستشفى القصر العيني ، لإجراء عملية غسيل الكلى؟

قال الطبيب الشاب والذي لم يباشر يوماً علاج أمل :

ـ لا أعتقد فقد أصبت بفشل كلوى !

كان ذلك يعني الموت .

وصرخت في وجه الطبيب : لا يمكن أن تكون انساناً .

قال طبيب آخر جواره : يمكنكم نقله إلى بلدته إذا أردتم .

وفهمت عبارته ، لكني سألته بحدة : **لماذا ؟**

لم يستطع الطبيب إجابتي ، وقال : **مجرد اقتراح !**

ردد بعض الأصدقاء اقتراح الطبيب ، فرفضت بشدة مرددة : مازال الله في السماء .

صمم أمل بعد أن فاجأه الطبيب بالفشل الكلوي على كتابة وصيته ، رفضت الاستماع إليها ، فراح يحدث جابر عصفور عن تفاصيل الوصية ، وتفصيلات الجنازة مطالباً باتخاذ موقف عقلاني هادئ ، وجابر مندهش أمام تلك الصلابة الخرافية من رجل يتحدث بهدوء عن جنازته القريبة !

في تلك الفترة حدث شيء كان هو الرحمة القادمة من السماء ، لقد طلب أمل التبول ، وصرخت فرحاً :

ـ هل تأكدت ، لقد كذب الطبيب ، الفشل الكلوي يمنعك من التبول ، فلا داعي للخوف .

ابتسم أمل ، أمام هذا البصيص من الفرح ، وتلك الرحمة المهداه بالإحساس بالأمل من جديد ، والتي منحها له الله قبيل الدخول في الغيبوبة .

أحياناً يكون بصيص الأمل لليائس ، أقوى كثيراً من تحققه .

وكان الجميع يعلم أننا نتعلق في الهواء .

* * *

دخل أمل الغيبوبة فانكشف وجدانه أمامنا عالماً من الموسيقى والغناء

يا ناعسة لا لا لا لا

خلصت مني القواله

والسهم اللى رماني

هالكني لا محالة

كانت كلمات هذه الأغنية لعبدالرحمن الأبنودي ، هي آخر ما أراد أمل سماعه

وكان قد استمع إليها مرة واحدة فقط قبل شهرين ، عندما غناها (محمد قنديل) في حفل تليفزيوني .. وسألني هل لفت نظرك شيء في الأغنية ؟

قلت : لا

قال : إن كلماتها غريبة !

استمعنا جميعاً إلى هذه الأغنية الغريبة ، كلما استيقظ أمل من غيبوبته فأدركنا أن الموت قادم لا محالة ، وأدركت لماذا استخدم أمل في وصف كلمات الأغنية الغرابة .. لا بد إنه يقصد أن الأبنودي يرثيه **شخصياً !**

اقتربت منه :

ـ هل أنت حزين ؟

أشار وهو عاجز عن الكلام تماماً بأن نعم .

إنها المرة الأولى التي يقول فيها (نعم) .. إنه القرار الذاتي بالموت .

يتوقف هذا المشهد كثيراً أمام عيني ، كأنه ينقل سره إلى ، فأقتنع معه بقرار الموت، وميراث الحزن الذي لا ينتهي .

(حين ترينني عاجزاً ، تمني لي الموت .. فهو رحمتي الوحيدة) .هكذا أعلن أمل الموت ، لكنه كطبيعته مـا زال حتى النفس الأخير ، يحلم بالمقـاومة ، في منتصف الليل ، قبيـل وفاتـه بساعـات قليلة زاره ناصر الخطيـب مديـر مكتب جـريدة الرياض بالقاهرة ، أيقظ أمل من غيبوبته ، وهمس في أذنه باكياً :

ـ أمل قاوم .

فتح أمل عينيه وبصعوبة في النطق أجاب : لا أملك سوى المقاومة .

ثم راح في غيبوبة .

في الثالثة صبـاحاً ، حاول نزع حقنة الجلـوكوز من يده ، رفضـت الممرضة وشقيقـه نزع الحقنـة ، وأمسـك كـل منهما بيديـه بقـوة حتـى لا يتمكن مـن انتزاعـــها .

ولم يكن يقوى على الصراخ في وجوههم ، نظر إلى ، كـانت عيناه تطلبان مني الراحة .

نزعت حقنة الجلوكوز من يده : **يمكنك أن ترتاح .**

أغمض عينيه في هدوء ، ودخل في غيبوبة أخيرة .

*** السبت ٢١ مايو :ـ**

الثامنة صباحاً

كان وجهه هادئاً وهم يغلقون عينيه

وكان هدوئي مستحيلاً وأنا أفتح عينى

وحده السرطان كان يصرخ

ووحده الموت كان يبكي قسوته .

● (ملحق مسودات القصائد)

[مسودة قصيدة الخيول في كتابتها الأولى ١٩٨١]

[مسودة قصيدة الخيول في كتابتها الأولى١٩٨٢]

[مسودة قصيدة محمود حسن إسماعيل]

[مسودة قصيدة الفارس]

[مسودة قصيدة الأحجار]



[مسودة قصيدة الخيول فى كتابتها الاولى ١٩٨١]

الفتوحات - في الأرض - مكتوبة بدماء الخيول .
وحدود الممالك
رسمتها السنابك
والركابان كانا هما الكفتين
لميزان عدل يميل مع السيف حيث يميل

* *

اركضي أو قفي الآن أيتها الخيل
لست المغيرات صبحا ، ولا العاديات - كما قيل - ضبحا
ولا خضرة في طريقك تمحى
ولا طفل أضحى إذا ما مررت به يتنحى .
لن تفتح المدن الآن أبوابها .
ولن تتزحزح صهوتها ، وترد الجميلة خلاخلها .
ولن - حول كوكبة الحرس الملكي - تدق الطبول .

اركضي كالسلاحف
نحو زوايا المتاحف ..
صيري تماثيل من حجر في الميادين
صيري أراجيح من خشب في سرادق الملاهي ،
~~[illegible]~~
ومن يتملك الصغار - فتقفز أحصنة الفارسية ذات الدراجين .

حيث نجرُ سمكُ السنونو فوارسَ طائرة تناجي الفراشةَ في وهج الكائن
حيث رسوماً تحطُّ بيوت الذين يعودون من رحلة الحنين
ووحشتها على سادة الذين يعيشون لا يملكون سوى السارح.
الذين يشترون في الأرض درب الدخول
ويحبون. حتى السعال يجف جمّ..
ستجاهد في رشفتك العميق!

•

الماء هو الماء.
والنهر هو النهر.
لكن الأسياد
يتبادلُ الدهر.

•

اكتفي أو قفي.
نحن نتبادل.
واختري أن تذهبي في الطريق الذي يتراجع
تحت الشمس
تحت الهمس
تحت الطريق الجبلية للهوة التي تتكدس في لامكان العظام،
انظري..
فاتنة أنت والشمس السالفة تحت الآن في القاع
حتى جاء الضبابة والحزن تحفر في الصخر مجرى..
إلى الهوة الأبدية.
كل الينابيع لي قاتلاً تختفي.
وهو يكتفي!

ـ

قد يقصف الإعصار
الكثير من زهر
لكن الإعصار
لا يخنق البذر .

اركضي للقرار .
واركضي أو قفي في طريق الفرار
تتساوى محصلة الركض والرفض في الأرض .
ماذا لك الآن ؟ ماذا ؟
سوى عرق يتصبب من تعب
يستحيل دنانير من ذهب
في جيوب هواة سلالاتك العربية ،
في حلبات المراهنة الدائرية ،
في نزهة المركبات السياحية المشتهاة ~~[illegible]~~
وفي ~~[illegible]~~ المتعة المشتراة على النيل
وفي المرأة الأجنبية تعلوك - معقوفة الأنف -
تحت ظلال أبي الهول ..
هذا الذي كسرت أنفه لعنة الانتظار الطويل .

•

في كل المنعطفات
~~[illegible]~~
صلى عند النهر
وتطل الخيلاء
تحت مناع العسكر .

كانت الدنيا - في البدء - لأناس بريئة تتآلف بين السهول
كانت الدنيا كالناس في البدء
تتعانق الشمس والعشب وانحنت النخيل.

فلأنها لم يدلها كوكب الغزاة الفاتحين
ولم يغني الحب الريح تحت سياط الزحف.
والنجم لم ينثني للأمم
ولم تكن القدمان ~~[illegible]~~ الأوزان مشكولتين.
ولم تكن الزاد بالأكاد
حتى الأشرار لم يك يتقلدوا السيف المدني الصقيل.

كانت الدنيا بريئة
تتنفس حرية
فلما يتنفس الناس في ذاك الزمن الذهبي النبيل.

من شاء لمن شاء
أن يخيف الطير
واستسلم دماء
تحت سياط القهر.

العدل سباط من تحته نجيء الناس فاس بالمكان
فانتشرت مشانق وركبان.
وترعرعت في كنف ممه الخيل..
القيوا الفتك فند مسود الزمان
فغدوا أشباح أشباه وزمانا.
~~[illegible]~~
وظللنا مشتتة عند طرقات الهوان.

[مسودة قصيدة الخيول فى كتابتها الثانية ١٩٨٣]

٢٩ صفر ١ كيهك — DECEMBER ديسمبر

الفتوحات في الأرض مكتوبة بدماء الخيول
وحدود الممالك
رسمتها السنابك
[illegible]
ميزان عدل يميل مع السيف حيث يميل.

اركضي أو قفي الآن أيتها الخيل
لست المغيرات صبحا ولا العاديات - كما قيل - ضبحا
ولا خضرة في طريقك تمحى
ولا طفل أضحى إذا ما مررت به يتنحى
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] أراه من هنا في [illegible]

[illegible] في [illegible]

دمية تتزهر أزهار [illegible]

العكسي [illegible]

نزوات الحالمين

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] البنى [illegible] [illegible]

فوارس الحقل [illegible] الفراشة [illegible] بدهائي.

[illegible] الذين [illegible] دون [illegible] الرعي.

[illegible]

[illegible] الذين [illegible] لا [illegible]

الذي [illegible]

الذين [illegible] في [illegible].

كندن.

[illegible] بدقة.

زمن يتقاطع.

[illegible] أن تذهب في طريقك الذي يتراجع

تنكسر الشمس.

يتكدر الأنس.

تنحدر العلاقة الجميلة للهوة التي تحدث منذ [illegible] نظام النظام.

[illegible].

[illegible] السائل ويسرقه إلى [illegible].

[illegible] الآن في الفراغ..

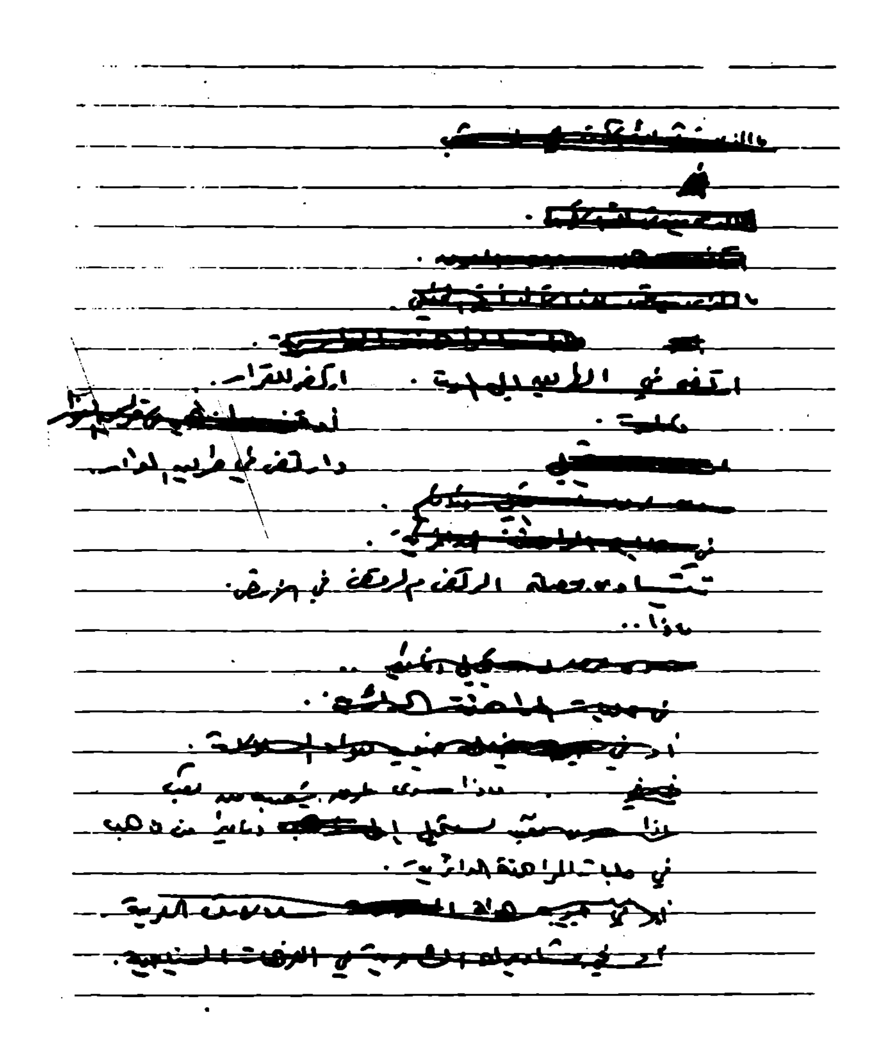
..

متى جاء التذكر يحزن [illegible] تحضر في الصحو..

سيتم [illegible] طريقاً إلى الهوة

[illegible] الأبدية..

[illegible] في [illegible] تكفي. وهو لا يكفي.



الصور [illegible]

أو [illegible]

في [illegible] المركبة [illegible]

أو [illegible]

[illegible]

في [illegible]

في زحمة المركبة [illegible] الوهم [illegible].

في [illegible] الوهم المتلاشي [illegible]

في [illegible]

في [illegible] [illegible] تقول [illegible]

[illegible]

معتوقة الأنفاس تحت ظلال أبي الهول [illegible]

اللاذعة [illegible] [illegible] الانتظار.

الصمت.

لأن الخيول مع البدو كانت معاً .. جريحة تترك الذي عبر الحقول (السهول)

كانت الخيل والبدو كانوا سوى نبتة [illegible]
تقتلع الحقل [illegible] بالذكريات [illegible]

ظهرهم [illegible] يرتب القادة الفاتحون.

ولم يلتق الحب الحرين [illegible] المدى.

ولم [illegible] ولم [illegible] اليوم؟

ولم تلتق القريتان تنظرهما بعد [illegible].

[illegible]

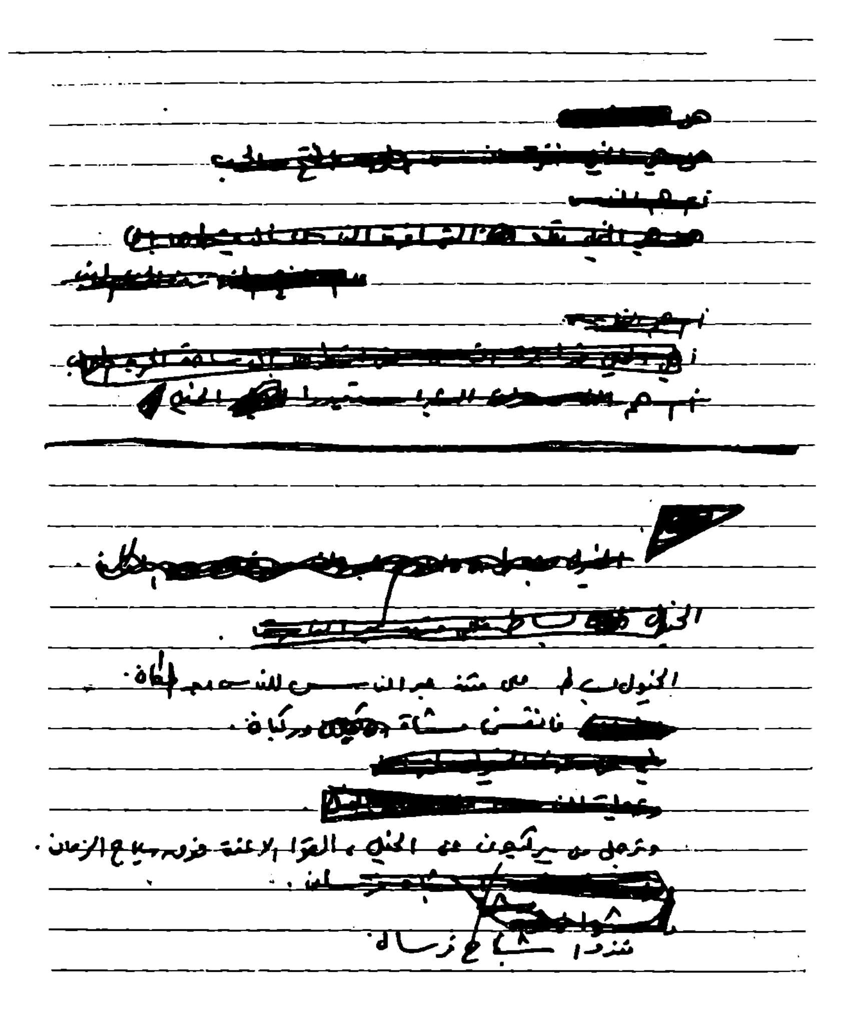
[illegible]

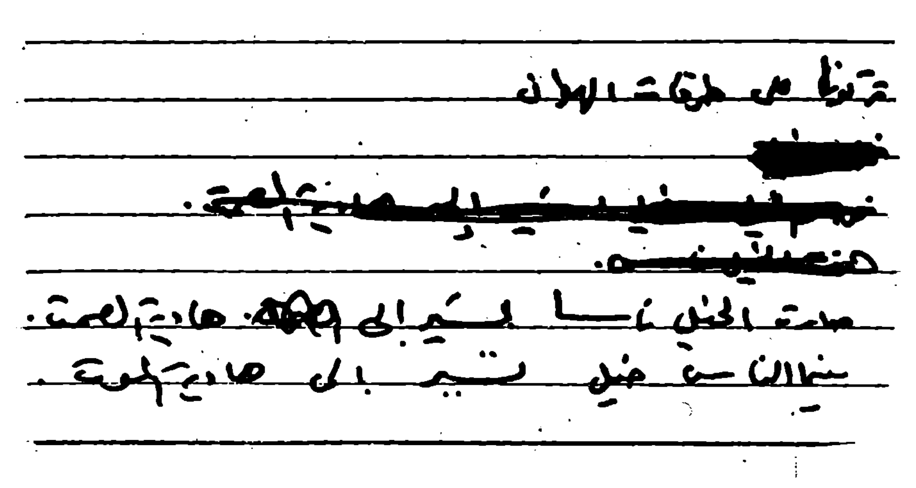
[illegible]

ولم تكن الزاد بالكلام.
هناك الموازم [illegible] يتعلق [illegible] الصمت.

كانت الخيل [illegible]
تتنفس [illegible].

ثم [illegible] تنشئ النص في [illegible] الزمن [illegible] البكر.




ترنوا من طرقات الهلاك

صامتة الحقل في ساحة [illegible] إلى [illegible]. هادئة الصمت.
سنبلات [illegible] تتيه بلا هادئ الجوع.

[مسودة قصيدة محمود حسن اسماعيل]

واحد من جنودك يا سيدي

قطعوا يوم مؤتة مني اليدين

فاحتضنت اللواء بالمرفقين .

واحتسبت لوجهك مستشهدي .

واحد من جنودك يا أيها الشعر

هل يصل الصوت ..

والريح [illegible] مخنوقة في الظلام

~~والمصابيح [illegible]~~

~~[illegible]~~

مشروخة [illegible] بالسامر ..

هل يصل الصوت يا سيدي .

والمصابيح ~~[illegible]~~

~~[illegible]~~ موصودة بالمواخير

هل يصل الصوت [illegible] يكنسها من القلب .

~~[illegible]~~

هل يصل الصوت .

أم يصل الموت

[illegible] تبكي فأنى أناديك .

واحدمه جنودك يا سيدي
ألف حبة وحبة
واحتوتك الكرش
فعرفت موتك أي مدى .

من زمن الشعراء - الاناشيد
للشعراء السعيد .
من زمن الشعراء الصعاليك
للشعراء الصعاليك (؟) .

كل الاشياء يتحولون

امرأة - تجيئ حتى تجيئ حتى تجيئ

أسير - تسير حتى تتعرف حتى تتعثرت . يرحل سفنا تسنا في العين .
ألفة هذا الوطن ..

تغرب في أرض ، تصنع الغربة في التأبين .

NOTES

اشكر اذنه العباسي [illegible]

[illegible]

اعمارها .

[illegible] ماضيه [illegible]

[illegible]

هاالذ اعرفه
[illegible] ماهيه مرضى .

[illegible] والقديم [illegible] مطلقاته لنفسيه ،
[illegible] وليه عرى .

[illegible]

واضاف الى الحلم البشر .

[illegible] حسن .

[illegible] شيرة . هي لقسرت ، هي لعرت

اسمي ، سمنت هي سميت . هي لعمت .

اين المجد .

واين المغتر

[مسودة قصيدة الفارس]

لا تنتظر أن يبتسم الفارس

مدى ما شئت

من [illegible]

وا[illegible] ما شئت

مد طرف ردائك

من يصنع منه [illegible] دا.

ويبقى شفرة البرد الفارس.

ويبقى البرد الفارس.

ستراني [illegible] بفضول القوم [illegible] أبداً

لم يبق دم [illegible] سوى ردائك

[illegible] الفرسان ع هلا لنصل [illegible].

واحد من جنودك يا أيها السفر

كل الأحباء يرتحلون
فترحل شيئاً فشيئاً عن العين ألفة هذا الوطن
نتغرب في الأرض. نصبح أغربة في التآبين.
نبكي خريف البساتين.
لا تستوقفني في صحف اليوم إلا أمام العناوين
نقرؤها دون أن نطرف الجفن.
سرعان ما نبلغ الصفحات قبيل الأخيرة
ندخلها، ونجالس أحزان [illegible]
تعود لنا ألفة الأصدقاء
تعود لنا الحميمية والدهشة العرضية
والترح والحزن،
هذا هو العالم المتبقي لنا: إنه الصمت
والسواد هو الأهل والبيت.
إن البياض الوحيد الذي نترجيه
البياض الوحيد الذي نتوحد فيه: بياض الكفن!

واحد من جنودك يا سيدي
هزه الحزن صحته
ما أخذها نيل رتبة
والشهادة تغنيه عن السطور.

واحد منه جنوده ـ يا أيها البشر ـ ليس له منزل ليأوي إليه.
ولا نهر من مائه ليغتسل

تعرفونكم هتافات العرب السلام

والسلام على على محمد رجل

سيغطي بأردية الغرباء.
وعسى حبيبه بالوحل

انت إشارات اقرئي هتافات العرب السلام
والسلام على محمد رجل
والسلام على محمد إمام

[مسودة قصيدة الاحجار]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لا يسع الحزن كله،

ولكن لم نكبر.

كرفضنا أن نمشي مع الشمس

رقة دفائه ورق

لأنه مضارة هوائه وغيرها.

لم تره الأحجار في مكانها

ندرته

وصمتك نور نفضه خيفات كما تمت تناقضه.

من أشهى الحب الواحد أمي للتقت

ونفسي بيننا من صور أجلها.

لكنها تجد تصير صحرا لقتل، لكنها تجر

الصحار كلمة من الحكمة والأيام والعمر.

العباد ابتكروا العز.

واعتادوا الحزن والشر

السور . تسورت . حتى تعثرت . حتى تعثرت

الحمى . يمينة . حتى حمية حتى تقسة

ابن العز . وابن القهر .

للخفافيش أسماؤك التي تشع بها

عن تشع إذا انتشى النور .

والنور

والنور ينتسب للشمس .

ولكن الشمس تنسب الآن هذا اليوم للعبالات .

هل طلع الصبح من شرق أم من الأحمر .

وبانت سعاد من البردة المنبوية .

أم من فلسفة اللاهوتية الحزن .

فلما تشع إذا انتسب النور

واحد من جنودك يا سيدي

الغد بين يديه

واحتويته اللاشيء

فعرفت جموعه أنه عدوي !

ليسعفه

عندك ما آخر حب لوردة

وآخر زاد في العتبة

وآخر نجم لتغنيه

قمح أريحية [illegible]

أريد [illegible]

وقد

أريد [illegible]

[illegible]

أريد

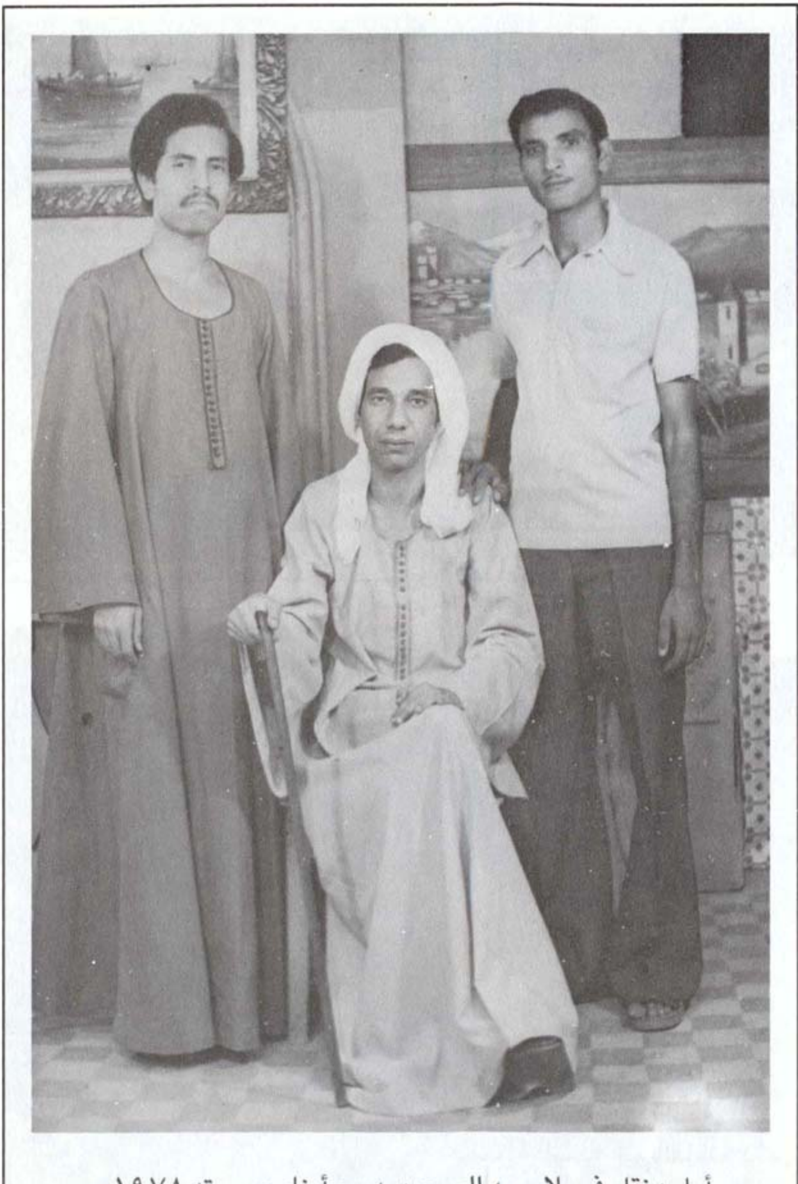
أريد [illegible] [illegible]

كالريح قتيلًا . [illegible] .

وقتلي [illegible] وقد [illegible] .

عقلك الحب [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الحب [illegible] ،



أمل دنقل فى ملابسه الصعيديه مع أبناء عمومته ١٩٧٨م

أمـل دنقل فـى حفلة مدرسة التحـــرير الأعدادية فى شهر فبراير ١٩٥٩



فضيلة الشيخ أبو القاسم دنقل
والد أمل دنقل

حفل زفاف أمل دنقل وعبله الروينى

أمل دنقل وعبله الروينى ـ الفيوم ١٩٧٩

أمل دنقل وعبله الروينى ـ الفيوم ٩ / ٣ / ١٩٧٩



أمل دنقل والكاتب
سليمان فيـــاض

حفل عيد ميلاد د . يوسف أدريس

آخر أمسية شعرية لأمل دنقل فى مهرجان حافظ وشوقى

أمل دنقل وملك عبد العزيز و د . عبد المحسن طه بدر

أمل دنقل ولويس عوض وجابر عصفور ومحمد بدوى فى غرفة معهد السرطان

أمل دنقل وجابر عصفور وعبد السلام أمين

أمل دنقل والشاعر عبد الرحمن الأبنودى

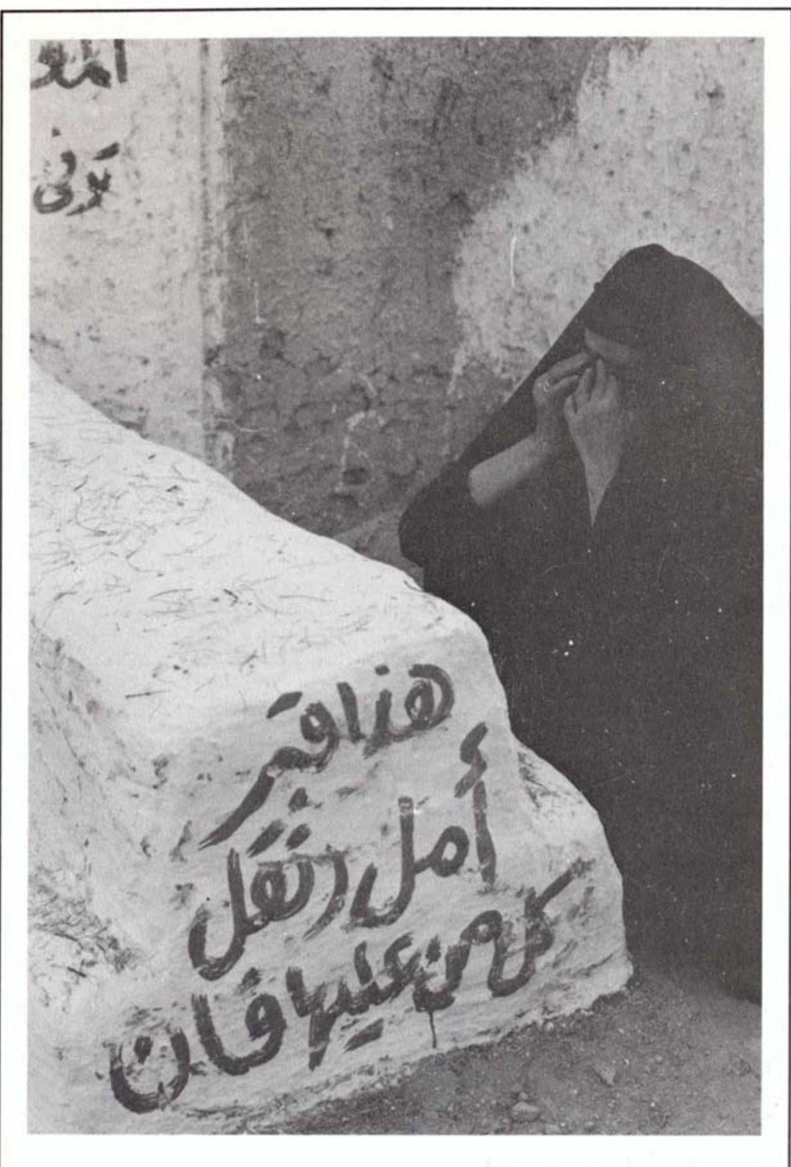
أمل دنقل فى الغـرفة
رقم (٨) بمستشفى
معهد السرطان



أمل دنقـل على سرير
المرض



والـدة أمل دنقـل فى
غرفته بالمستشفى



والدة أمل دنقل على قبره كما صورتها المخرجة عطيات الأبنودى


Twitter: @ketab_n

الفهـــرس





■ **دار سعاد الصباح**

للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية مسجلة بدولة الكويت وجمهورية مصر العربية وتهدف إلي نشر ما هو جدير بالنشر من روائع التراث العربي والثقافة العربية المعاصرة والتجارب الابداعية للشباب العربي من المحيط إلى الخليج وكذا ترجمة ونشر روائع الثقافات الأخرى حتى تكون في متناول أبناء الأمة فهذه الدار هي حلقة وصل بين التراث والمعاصرةوبين كبار المبدعين وشبابهم وهى نافذة للعرب على العالم ونافذة للعالم على الأمة العربية وتلتزم الدار فيما تنشره بمعايير تضعها هيئة مستقلة من كبار المفكرين العرب في مجالات الابداع المختلفة.

دار سعاد الصباح

ص.ب : ٢٧٢٨٠

الصفاة ١٣١٣٣ ـ الكويت

ص. ب: ١٣ المقطم ـ القاهرة

